المكتبة الثقافية

الراديو

ذلك الصّندوق السّحرى

بقلم

عبد الرحيم الرفاعى

المكتبة الثقافية
٤٢٧

الرّاديُو
ذلك الصندوق السحري

بقلم
عبد الرحيم الرفاعي



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٧

الصندوق السحرى

حينما كنا صبية نلعب فى شوارع المدينة، كنا نترقب وصول صاحب « صندوق الدنيا » بفارغ صبر • وصاحب « صندوق الدنيا » هذا رجل بسيط يجوب الشوارع حاملا صندوقا فوق ظهره ومقعدا صغيرا وينـــادى نداءه الذى كان يخرجنا من بيوتنا مسرعين اليه وهــو يقــول « اتفوج يا سلام » •

كان هذا نوعا من الترفيه الشعبى الشائع فى أوائل القرن بشــوارع القــاهرة والمــدن المصرية • الفكرة فيه آن يجلس الصبى المتفرج على المقعد الى جوار زملائه من الصبية الآخرين

ثم يسدل على رؤوسهم ما يشبه الستار ، ويشغل لهم صاحب « صندوق الدنيا » شريطا عجيبا غريبا يرى فيه الصبى مناظر خلابة من « أنحاء الدنيا » فى جولة تدوم دقائق يرى فيها عجائب الدنيا وقد جمعت له فى ذلك الصندوق السحرى العجيب ، يراها ويسمع فى الوقت نفسه تعليقا مصاحبا للمناظر يلقى به صاحب « الصندوق » فى يسر وبراعة يحسده عليهما أكبر محترفى الاذاعة !

هذا ما كان يرفه عنا حينما كنا صبية ، ولما كبرنا ، أصبحنا نتطلع ـ بطبيعة الحال ـ الى أشياء أخرى ، فكان أن استبدلنا ذلك الصندوق بصندوق آخر دخل بيتنا فى الثلث الأول من القرن كذلك ، وكان صندوقا خشبيا مزركشا جميلا ، تلتف حوله العائلة فى كثير من شك وهيبة واحترام ويظن صبية العائلة أن سيسدل عليهم ستار ليروا «عجائب الدنيا السبع» لكن الصندوق المسحور بدأ يتكلم ويغنى

فاستعذنا بالله من الشيطان الرجيم من صندوق الدنيا الذى أصبح يتحدث من تلقاء نفسه ! وها هو يقرأ القرآن ثم يؤذن للصلاة • انه أغرب من صندوق الدنيا !

أسموه « الراديو » وقد شرحوا لنا ان هذا (اختراع) مهول سيقلب الدنيا رآسا على عقبه وهو يصل الينا بما يسمى « اللاسلكى » وآن هذا « اللاسلكى » يسمى اذاعة ! آلغاز فى ألغاز ، لم نفهم منها شيئا حينذاك ولكنها شغلتنى ، فصممت منذ ذلك الوقت المبكر على أن أعرف أسرار هذا الصندوق السحرى فهو شغلنى واهتممت به فكان آن انفقت عمرا كاملا فى العمل بدنياه ، دنيا «الصندوق السحرى» •

ولعلى أوفق قليلا ــ فى الصفحات التالية ــ لازالة طلاسم هذا الصندوق الغريب لهواة الاذاعة والراغبين فى العمل بميدانها •

عبد الرحيم الرفاعى

الفن الاذاعى :

الاذاعة مهنة كغيرها من المهن ، مثل الطب والهندسة والمحاماة • يجب دراستها وتعلم أسرارها وخططها وعلومها وحيلها، ثم التدريب على ذلك عمليا قبل ممارسة المهنة كما هو الحال بالنسبة للاطباء والمهندسين والمحامين • هذه المهنة التى التمسها ـ مع الأسف ـ كثير من الدخلاء للتعيش منها فقط ، هى أبعد ما تكون عنهم ، وهم سيظلون بعيدين عنها دخلاء عليها• انهم أطباء دجالون (كما أحب أن أسمى أدعياء الفن الاذاعى) لا يعرفون شيئا عن الداء والدواء ، وسيظلون يسيئون الى المهنة والى أنفسهم طالما انهم يعتقدون بامكان اقتحام الميدان دون دراسة واستعداد •

اذا ، ما هو هذا الفن الاذاعى ؟ وهل هناك مثلا أدب اذاعى له خصوصياته ؟

الأدب الاذاعي له مميزاته واولها ، ضرورة السيطرة الكاملة على اللغة التي يراد العمل بها ·

ولأن الاذاعة هي أداء صوتي فلابد من اتقان اللغة لأنك ستقرأ بها ، وهذا طبعا مختلف تماما عن الكتابة · في الكتابة قد لا يظهر الخطأ ، ولكن في الاذاعة تنتقد المصداقية فورا اذا أخطأ المرء في لغته ، مما يحتم صحة الأداء (مائة في المائة وليس تسعة وتسعين في المائة) ·

الخطوة الأولى اذا هي معرفة اللغة بنحوها وعلومها وأدبها ، ولا مفر من ذلك أبدا ·

وفي الفن الاذاعي ، لا توجد هناك قراءة ، ولكن هناك الأداء الاذاعي ، فما هو الأداء الاذاعي ؟

انه الالقاء الصوتي المناسب ، لابراز المعنى باستخدام نغمات الصوت المختلفة لابراز معنى كل كلمة وكل جملة للمستمع · وبدون

هذا الالقاء الاذاعى لا يكون المذيع مذيعا أبدا •
ولن يكون واثقا من نفسه أبدا •

وهذه هي الخطوة الثانية ، التدريب على الأداء الاذاعى السليم ، لكى تتوفر الخطوة الثالثة ، وهى الوثوق بالنفس •

لنراجع كل خطوة من تلك الخطوات :

اتقان اللغة يؤدى الى النطق السليم وتحسين مخارج الحروف والكلمات • ولنتذكر هنا أننا فى حاجة الى ذلك لأننا جميعا نقرأ لغة غريبة عنا نوعا ما لأنها ليست ما يسمى بلغة الأم بالمعنى الموجود لدى الفرنسى أو الانكليزى أو الألمانى الذى يتحدث لغة لا تبعد كثيرا عن لغة الأم •

اذا تراجع نفسك • هل أحسنت اخراج كل كلمة من كلمات الجملة ؟ وهل أحسنت اخراج كل حرف من حروف الكلمة ؟

لماذا هذا التساؤل ؟ لأننا نميل الى (أكل)

بعض الحـــروف نتيجة التسرع ونتيجة عادات النطق السىء فى الحديث الدارج • هــذا أمــر يجب مقاومته فى اذاعات المــوجات القصــيرة بالذات التى عادة ما تصل الى المستمع مشــوهة نتيجة للتشويش الاذاعى وتداخل المحطات •

لا يغيب عن بالك أن النطق السليم هــــو بداية الأداء السليم ، لأنك اذا تعمدت نطق كل حرف فى الكلمة فانك لن تسرع فى أداء النص، وهذا يستدعى منك شيئا من التأنى •

وهذا من شأنه أن يكسبك الثقة بالنفس •

هل نحن فى حاجة الى أن نعيد ونكرر أن الخطأ النحوى يفقد مرتكبه المصداقية كما يفقده الاحترام لدى المستمع ، وكذا يفقده الطـريق الصحيح ، لأنه لا يمــكن أن يكون فاهما لمــا يؤدى !

فكيف يستطيع اذا أن يفهم غيره أو يؤدى أداء صحيحا ؟

الأداء الاذاعى السليم لا يتأتى الا بدراسة النص جيدا قبل القائه • فلابد اذا من تقسيم النص الى وقفات بعضها قصير جدا والبعض الآخر قصير ، والثالث طويل (نوعا ما) •

وتذكر دائما انه ليس أسوأ من الوقفات الطويلة أثناء الأداء الاذاعى ، فكل وقفة محسوبة تبعا لأصول القراءة المعروفة ، فهذه الوقفات تشكل موسيقى الكلام وترسم الوقع على الآذان •

من القواعد الذهبية فى الاذاعة آلا تؤدى نصا لم تقرؤه من قبل • فالنتيجة لابد أن تكون خطأ فى خطأ • كما ستبتعد عن وثوقك بنفسك ، وأحب أن أذكرك هنا بأن المستمع مهما كان يتحلى على الدوام بأذن مرهفة تلتقط أقل تردد من جانبك كما تلحظ حتى الوقفات الخاطئة أو غير ذلك من أخطاء عدم الوثوق بالنفس •

كيف تذيع نصا من النصوص بعد الالمـام بكل ذلك ؟

هل نصطنع أصواتا غير أصواتنا ؟

هل نقلد أحدا من الأشخاص الذين يعجبنا أداؤهم ؟

هل نصرخ لنخاطب جماهير الاذاعة ؟

الاجابة على كل هذه الأسئلة هى بالنفى • فلا اصطناع ولا صراخ ولا تقليد لأحد •

كن طبيعيا تماما ، وكأنك تخاطب صديقا أو رفيقا جالسا الى جـوارك • حينما تتـأهب للاذاعة كن هادىء الأعصـــاب أمام الميكروفون طبيعى الصـــوت ، فلا صراخ ولا همس ، بل صوت الحديث العادى وهذا هو أفضل أداء اذاعى يمـكن أن تـؤديه • وتذكر انك لا تخطب فى

جماهير أمامك بل هناك ـ كما ذكرنا سابقا ـ شخص واحد أو مجموعة صغيرة من الأشخاص الى جوار المذياع تستمع اليك وتتوقع منك أن تحدثها هي لا أن تصرخ في جماهير خيالية لا وجود لها !

والتقليد مكروه ، لأنك ان قلدت أحدا يعجبك صوته أو أداؤه فلن تكون طبيعيا أبدا ولن تكون لك طريقة خاصة بك وشخصية لصوتك ٠

الأسلوب الاذاعى :

تحدثنا سابقا عن الأدب الاذاعى المتميز بأسلوب خاص وقلنا ان له خصوصياته وقواعده وقلنا ان أول هذه المميزات السيطرة الكاملة على اللغة بنحوها وصرفها وبلاغتها وكل فروعها ٠ وهذا لأنك فى الاذاعة تؤدى النص

بنفسك ولا أحد يصحح لك (كما فى الصحافة وغيرها) ، ففى الصحافة المكتـوبة يصحح لك المصحح النص ، أما الاذاعة فلا مكان فيها لذلك لأنك لابد أن تـؤدى نصـك بنفسـك صحيحا (مائة فى المائة وليس تسعة وتسعين فى المائة)!

وقد تضطر الىقراءة سريعة أمام الميكروفون دون وجود من يساعدك على التصحيح، فالقراءة المباشرة (على الهواء) محتملة فى كل وقت •

الخاصـية الثانيـة للأسـلوب الاذاعى هى تجنب استخدام غريب اللفظ • فالنص الاذاعى يجب أن يكـون فى متنـاول الجميع من حيث السهولة واليسر • والسبب واضح ، لأن المذيع يقرأه مـرة واحـدة ولا يمـكن للسـامع أن يستعيده ، بالاضافة الى أن هذا السامع قد يكون أى شخص أدار المذياع ليستمع اليك ، سـواء أكان تلميذا صغيرا ، أو عاملا ، أو طبيبا ، أو أستاذا ، أو عالما ، مما يحتم عليك أن يكـون

أسلوبك سـهلا سلسا لا يستعصى فهم معانيه على أحد .

الخاصية الثالثة للأسلوب الاذاعى ، هى تجنب الاكثـار من اسـتخدام الاحصـائيات المعقـدة والأرقام التى تحتاج الى استيعاب متروٍ ، والى استعادة أحيانا، وهذا كما هو واضح غير ممكن فى الاذاعة . واذا كان لابد من ذكر الأرقام ، فليكن ذلك بشكل سريع وموجز مع الاقتصـار على الضرورى فقط .

لا تستخدم ألفاظا غير مفهومة للجميع فى كل نص تحرره أو تقرأه بالاذاعة . واستخدام الألفاظ الأجنبية مثلا كنوع من الحذلقة اللغوية، مكروه تمـاما لأنك تخـاطر بالابتعاد عن فهم بعض المستمعين الذين لا يعرفون معانى هـذه الألفـاظ الأجنبيـة . اللهم اذا كانت منتشرة وشائعة تماما .

لا تستخدم ألفاظا نادرة الاستعمال ، رغم

انها قد تكــون صــحيحة ، وتذكر دائما أن • الخطأ الشائع أفضل من صــواب غير ذائع • الى هــذا الحــد يذهب البعض لتبرير اســتخدام الألفاظ المفهومة فى الاذاعة على وجه الخصوص، لأن مستمع الاذاعة هو ما تسميه « غير مختار » بمعنى أنك لم تختره وقد لا يكون من «الصفوة» حتى تقدم له غريب اللفظ ، بل هو مســتمع طرق بابك فجأة ودون دعوة أو سابق انذار • انه ليس مثل قارىءالجريدةالذى يعرف جريدته ويختارها عن ترو وتبصر ، وهــو يســتطيع الاحتفاظ بأعدادها للرجوع اليها كلمــا دعت الضرورة • تجنب الرتابة ، وابتعد عنها تماما• انها أعدى أعداء الاذاعى • واذا أصاب المستمع الملل من اذاعتك فانه سيتخلى عنك فى الحال ، وما أيسر ذلك ، فما عليه الا أن يدير الابــرة ليحصل على محطة أخرى ! ولكن نتجنب الرتابة يجب علينا دائما أن نفكر ونحن نقرأ النصوص الاذاعية، فى المعنى، وكيف يمكن أداؤه وابرازه

للسامع حتى نساعده على الاهتمام بما نقول وفهمه واستساغته ٠

من أين نبدأ ؟

لتكن البداية بما تعارفت عليه معظم الاذاعات ، من ان الأخبار تعتبر أهم بنود الاذاعة ٠ وذلك باعتبار العدد الكبير من نشرات الأخبار التى تقدم يوميا من الاذاعات وتخاطب كل الناس تقريبا على اختلاف مستوياتهم واهتماماتهم وثقافاتهم ، وعلى أساس ان كلامنا يجد فى نشرة الأخبار خبرا واحدا ــ على الأقل ــ يهمه ٠ فهناك من المستمعين من يهتم بأحوال الطقس ، وهناك من يهتم بالرياضة ، أو الثقافة ، أو الأخبار السياسية أو الاجتماعية والاقتصادية وغيرها ٠

كيف نستقى الأخبار الاذاعية ؟

مصادر الأخبـار ، هى وكالات الأنبـاء ، والمراسلون ، والمبعوثون الخاصون ، بالاضافة الى لجوء الاذاعة أحيانا الى استقاء أخبـار من المصادر الصحفية في حالة انفرادها بمقابلات أو تصريحـات هامة • وأخيرا هنـاك أقسـام الاستماع الاذاعى الملحقة بكل محطة اذاعية •

هذه هى المصـادر الرئيسـية التى تستقى منهـا الاذاعة نشراتها الاخبـارية التى يقـوم بتحريرها محررون أكفاء متمرسون بهذه المهنة الهامة •

ومصادر الأخبار هذه ، يجب أن تتوفر فيها الثقة والدقة ، حتى نضمن لها الاستحواذ عـلى ثقة المستمع واعتماده عليها • أما تحرير الخبر فيجب أن يكون دائما بلغة سـهلة يسـيرة الفهم

وخالية من التعقيد لتقترب من فهم عامة الناس •

ليس من صلاحيات المحرر أن يعلق على أى خبر لأن ذلك له مجال آخر هو التعليق على الأخبار وهذا فرع آخر من فروع الاذاعة • وما على المحرر الا أن يكون موضوعيا بقدر ماتسمح به النزعة البشرية ، لأن الموضوعية بمعناها المطلق غير موجودة طبعا • بل ان عملية اختيار الأنباء هى فى حد ذاتها وترتيبها فى النشرة ، حكم على الأخبار ، وبالتالى تعليق • ومع ذلك لابد للمحرر أن يحاول باستمرار أن يكون موضوعيا رغم صعوبة ذلك ، لأن من يحرر النبأ لابد أن يترك شيئا من شخصه على الخبر •

لا شك أن للاذاعة وضعا فريدا يحكم طبيعتها ، مما يحتم عليها أن تكون أشد حذرا من الصحف مثلا ، كما أن مصداقية الاذاعة تقتضى عدم تعريضها للوقوع الخطأ والاضطرار الى تكذيب نفسها ، وهذا لا يعفى الاذاعة من

المسئولية اذا وقعت فى خطأ ما بخصوص الأخبار التى تذيعها • وهذا آمر تكون له أسوأ العواقب على المستمع • ومع ذلك ، فلابد من تصحيح الخطأ ان وقع ، ويكون التصحيح فى صيغة خبر آخر •

ومن جهة اختيار الأخبار فانه من الصعب وضع قواعد جامدة ، تتبع باستمرار ، بل الأمر يتوقف دائما على البلد الذى نذيع منه ، والجهة التى نذيع منها •

اذاعة نشرات الأخبار :

مرة آخرى ، نصر على ضرورة آن يكون نشرات الأخبار بأسهل لغة ممكنة مع الابتعاد طبعا عن الابتذال • بل يجب آن يكتب الخبر بأسلوب جزل رصين رغم بساطته • كما يجب أن نتجنب الألفاظ المنافية للذوق السليم ، وأن

نتذكر دائمـا أن الاذاعة تدخـل الديار دون استئذان فحينما يدير المستمع ابرة المذياع يسمع صـوتك نورا أمام أفراد الأسرة صغارا وكبـارا نسـاء ورجالا • يجب اذا أن يكـون الحديث المسموع ملائما للمقام مـع احترام السامع مهما كان •

تركيب النشرة الاخبارية :

تبدأ النشرة عادة بالأهم من الأخبار فالمهم الى أن تصل فى النهـاية الى الأخبـار الخفيفة والمحلية، والرياضية أو ما يشبه ذلك • ولـكن المستمع يتوقع منك عـلى أى حال أن تسـمعه الأخبار الهامة فى أول النشرة ، بصوت رصـين يلفت انتباه المستمع فلا ينصرف عنك الى غيرك وما أسـهل ذلك • وتذكر أنك حينما تفـوز بانتباه المستمع تكون قد نجحت فى مهمتك •

ولا تنس أن تحيي مستمعك العربي ، فالمستمع العربي يحب التحية ، ونحن نعرف أن من بين المستمعين من يرد عليك التحية وهو يعرف ـ طبعا ـ أنك لن تسمعه ، لكنه يرد ولو في سره •

حاول أن تجعل نشرتك منوعة على قدر الامكان ، لتشمل الأخبار السياسية العربية والعالمية ، والأخبار الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والرياضية والفنية حتى ترضي أغلب الناس ومعظم الأذواق • وتذكر أن النشرة ليست موجهة اليك ، فربما كرهت شيئا يحبه غيرك من المستمعين • ومن المكروه أيضا الاسراف في سرعة الأداء أو شدة البطء ، فكلاهما لا يستحسنه المستمع • ولكن جملك واضحة من أولها الى آخرها في التركيب والآداء ، بمعنى ألا تخضع للميل الطبيعي لدى الانسان بأن تنتهي الجملة بصوت ينخفض كثيرا • وهذا يحدث أحيانا ، اذ يشرع المتحدث في الكلام

بصوت عادى يتقلص تدريجيا الى ما يشبه الهمس •

القراءة السليمة تقتضى منك الأداء السليم من أول الجملة وحتى نهايتها • فلا تغلق جملك « غلقات » ضعيفة ، فهذا يشينها ويقضى على موسيقاها كما يضايق من يستمع اليك ، فهو يفضل الوضوح فى كل صوره •

انتقد نفسك لتصل الى الأداءالسليم وابتعد عن عشق صوتك فهذه أولى خطوات الفشل !

الأحاديث الاذاعية والتعليقات :

أداء الحديث يختلف عن أداء الأخبار ، فالأخبار كما قلنا سابقا ، تتلى بالصيغة الاعلانية المباشرة والرصينة • وهى بالضرورة تتركب من جمل وفقرات تكون بحكم أنها اعلانية قصيرة نوعا ما •

أما هنا فالحديث الاذاعى ينساب فى فقرات قد تكون طويلة ، بينما الموضوع نفسه واحد لا يتغير على عكس الأخبار التى يختلف فيها كل موضوع عن الآخر ٠

وخطر الرتابة هنا أكبر ، لذا كان هناك مخرجون لتعليم وضبط قراءة الحديث الاذاعى، وكان هناك فن قراءة الحديث ويجب على من يتصدى لهذا العمل أن يتعلمه ويتقنه ، فكيف يكون ذلك ؟

هنا يأتى دور مخرج الأحاديث الاذاعية ٠ فالمخرج يستطيع أن يوجه المتحدث ويرشده الى كيفية «تقطيع» الجمل وتوزيع التنفس ، مع وضع العلامات التى تشير الى التوقف هنا أو هناك ٠ كما توضع ارشادات على النص فى أماكن معينة يرغب المتحدث فى الضغط عندها على مخارج الحروف عند النطق بها ، مع تغيير سرعة الالقاء بين مختلف الفقرات ٠ هذا كله

يتم فى مرحلة التجارب التى يجب أن تكون داخل الاستوديو .

وبعد ذلك ولدى الاذاعة ، يكون المتحدث أكثر ثقة بالنفس وسيطرة على الموقف أمام الميكرفون وتقل لديه الرهبة من الميكرفون ، وهى أمر عرفه كل من عمل بالاذاعة فى بداية عهده بها .

التجارب أمام الميكروفون مهمة ، لأنها - مع الارشادات السليمة - هى فى النهاية خير مرشد للمذيع الحديث ، ولمن يلقى حديثا اذاعيا . وبهذه الطريقة يتمكن المتحدث بعد فترة من الزمن من معرفة الوقفات التعبيرية ، وأسلوب مخاطبة مستمع صامت أمامك ، وأنت تسجل ماقد يجول بخاطره من سؤال أو استيضاح ثم تحاول الرد عليه وتوضيحه . وهذا هو فن مخاطبة المستمع بأسلم الطرق التى أساسها الألفة والبساطة .

ارشادات عملية لقراءة الحديث الاذاعى :

أولا ، لابد فى كل ما يذاع من دراسة النص جيدا ، وتعليمه بالعلامات الصوتية أى علامات الأداء الاذاعى ، من وقفات قصيرة أو طويلة (نوعا ما) ، ووقفات « التعليق » أى تعليق كلمة أو جملة اعتراضية وغير ذلك من أصول « تقطيع » الجمل تقطيعا يساعدك على قراءة ذلك النص الطويل الذى قد يصل طوله أحيانا الى ربع ساعة أو يزيد ، وهو دائما موضوع واحد ٠

نبدأ بتقسيم الحديث الطويل الى فقرات أقصر ، ثم تقسيم الفقرات الى جمل هكذا ، لاظهار المعنى والتأكيد على ابراز ما نريد ابرازه بصفة خاصة من معان ٠

وأثناء الأداء ، لا تنس أن تظهر اهتمامك

بما تؤدى حتى تنقل الاهتمام الى مستمعك ٠ واذا كنت أنت غير مهتم بتفهم ما تقرأ ، فكيف يمكنك أن تفهم أحدا ما لم تفهم ؟

لا شك أن أداء الحديث اذاعيا ، الأداء السليم من أصعب الأمور وأشقها ، فهذا يتطلب المران الطويل والتدريب الشاق والدراسة المتأنية ٠ وانت حينما تسمع مثلا ، حديثا من أحاديث الدكتور طه حسين الاذاعية بصوته الجهورى وأدائه الرائع وشرحه المستمر (بالأداء الصوتى طبعا) لما يقرأ ، تجد أنه يثير لديك الاهتمام بما يقول منذ العبارات الأولى فى الحديث وحتى نهايته ٠ وهذا هو الأداء الاذاعى السليم ٠ ولا شك ان اتقان مثل هذا الالقاء يحتاج الى مران طويل وممارسة وتمكن ٠

والأداء الاذاعى فن يعتمد أصلا على حسن الذوق وسلامته ، وعلى الثقافة الرفيعة وكذا

على سلامة الأذن ، فالأذن الموسيقية تسهل على صاحبها اتقان الأداء الاذاعى السليم ·

فنون الاذاعة عديدة متعددة :

لا تقتصر فنون الاذاعة على ما ذكرنا حتى الآن من نشرات الأخبار والأحاديث والتعليقات الاذاعية · فهناك فن المقابلة الاذاعية ، وهناك « الريبورتاج » ، وهناك فن القاء القصة ، وفن انشاد الشعر والقائه ، وفن ادارة حلقات النقاش · ولكل هذه الفنون أصوله وقواعده ، ومحظوراته كذلك ·

ولا ننسى البرامج الوثائقية التى تتناول موضوعا أو أكثر بالبحث المستفيض مع اخراج ذلك فى شكل درامى تقبله أذن السامع ويستفيد به عقله ، ومزج الموسيقى والأصوات مزجا له

أصــــوله وقواعده التى ســـنتناولها بالبحث والتمحيص فى الصفحات القادمة ٠

وسنحاول فيما يلى آن نلقى نظرات على كل فرع من هذه الفروع الاذاعية واحدا تلو الآخر:

المقابلة الاذاعية :

لكى تجرى مقابلة مع آى شخص كان، لابد أولا من الاستعداد : ادرس موضوع المقابلة على قدر الامكان٠ فمثلا اذا كنت آريد آن أستجوب أحــد وزراء النفط لدى انعقــاد مؤتمــر من مؤتمرات الأوبيك يجب على آن آلم بالموضوع، ثم آلم ولو بقدر يسير ، ببعض المعلــومات عن الوزير والتى قد تساعدنى على وضــع الأسئلة المناسبة التى يجب اعدادها مســبقا ودراســتها جيــدا ، وآحيــانا يلزم عرضها علىَ المســئول

نفسه ، وعلى المسئولين بالاذاعة • وهـذا على أى حال أمر يترك للظـروف المختلفة • ولـكن الأمر المهم هو وجوب الاستعداد للمقابلة الذى يزيد من الثقة بالنفس • كما يشمل الاستعداد ضرورة الالمام بآلة التسجيل التى تعمل عليهـا أمام المسئول ، وان تكون قد جربتها من قبـل عشرات المرات وتأكدت من صـلاحيتها وعرفت سبلها تماما •

قواعد ذهبية :

من القواعد الذهبية فى المقابلة الاذاعيـة ألا توجه أسئلة يجاب عليهـا فقط « بنعم » أو « لا » • لأن هذا طبعا « يقضى » على المقابلة •

لا توجه أسئلة سخيفة أو شخصية ، فهـذه كلها مزالق تؤدى بك الى الفشل •

لا تطل فى صياغة سؤالك كمـــا لا تقصره على ثلاث أو أربع كلمات • لتكن صياغة السؤال واضحة وبأسلوب رشيق ومختصر •

لا تلح فى الاصرار على الحصول على اجابة عن سؤال معين ، فبالامكان صياغة السؤال مرة أخرى بطريقة مختلفة، وقد تحصل على ماتريد •

لا تغال فى تسلق المسئول أو الوزير الذى تجرى معـــه المقابلة ، كمـــا لا تعامله بتعـــال وخشـــونة • كن أمينـــا وموضوعيا ولا تظهـــر عواطفك الشخصية أو رأيك الخاص عن أى من موضوعات البحث •

وفى المقابلة الجماعيـــة التى تجـــرى فيها النقاش مع عدد من الأشخاص ، يجب أن تعرف الشخص فى كل مرة يتحدث فيها ، كما يجب أن تحاول اعطاء الفرصة لكل شـــخص لكى يعرب عن رأيه ، مع تقديم منك فى أول المقـــابلة ، وتلخيص فى نهايتها •

واذا كنت تجرى المقابلة مع طفل أو صبى صغير ، فكن لطيفا ودودا ومتواضعا حتى يأنس اليك ولا يشعر بهيبة فى الحديث معك . وأحيانا يلجأ الى وضع الطفل على كرسى أمامك حتى يبدو فى نفس مستواك ولا يشعر بالرهبة . وقد يساعده ذلك على الشعور بالاطمئنان النفسى فيتدفق حديثه معك . وطبعا لا تستخدم ألفاظا وعبارات ومفهومات فوق مستوى فهم الطفل . وقد تكون هذه من البديهيات ولكننا ننساها أحيانا .

لا شك أن اجراء المقابلة الاذاعية الصحيحة فن اذاعى يجب تعلمه .

وأذكر أنى أرسلت مرة فى دورة دراسية اذاعية وكان موضوعها . المقابلة الإذاعية !

فعجبت لأمر هؤلاء المسئولين الذين . يضيعون وقتنا عبثا هكذا !.

ولكن بعد انتهاء الدورة ، شكرت هؤلاء

المسئولين » لأنى تعلمت الكثير عن المقابلة الاذاعية ٠

أولها أن أستمع الى آراء الخبراء الذين يعرفون مالا أعرف ٠ وما كان أكثرهم بتلك الدورة ٠ فمنهم من حاضرنا فى كيفية اجراء مقابلات الأطفال ، ومنهم من حاضرنا فى كيفية اجراء المقابلات مع الزعماء والرؤساء وكبار المسئولين ٠ كما استمعنا الى ارشادات عن اجراء مقابلات مع العلماء والمتخصصين ، وكيف نحصل منهم على معلومات مبسطة ، يستفيد منها المستمع العادى ٠

متى تطرح السؤال ، متى تصمت ، ومتى تقاطع ، وكيف تمارس عملية القطع أو « المونتاج » بعد ذلك ٠

كل هذه الأمور وغيرها أقنعتنى أن المقابلة الاذاعية فن يجب أن نتعلمه ٠

حلقات النقاش :

فن آخر من فنون الاذاعة العديدة ، ولعله من آدقها مما يحتم اسناده الى الاذاعى المدرب والذى يمتاز بشخصية قوية ودراية بموضوع الندوة ·

يتوقف نجاح هذه الندوات آو حلقات النقاش وأحيانا نسميها «مائدة مستديرة» على الشخص الذى يترأسها · نحن حينما نصفها بأنها من آدق الفنون الاذاعية ، فذلك لأنها تحتاج الى تنظيم ، فلابد من تنسيق النقاش حتى لا يتكلم المشتركون فى نفس الوقت فتسود الفوضى والتشويش · كما يجب ابراز معالم الموضوع على الدوام ، وذلك عن طريق تنظيم الكلام ·

يجب أن يبدأ المشرف على ادارة حلقة

النقاش ، ثم يقدم المشتركين ، ويشرع فى تنظيم المناقشة وادارتها ويعمل على ابراز جوانب الموضوع مع اتاحة الفرص لكل مشترك كى يتحدث بحرية للاعراب عن رأيه ، ودون مقاطعة من أحد • وهكذا يستطيع المستمع الالمام بكل جوانب المسألة المطروحة للنقاش ، وبكافة آراء ووجهات نظر المشاركين بالمائدة المستديرة •

يتدخل المشرف على الندوة ـ آحيانا ـ لشرح بعض التعبيرات آو الاصطلاحات التى قد تستعصى على فهم المستمع ، آو لطرح سؤال لابد من توجيهه •

هذا مع اشاعة جو من الحماس والحرارة فى المناقشة حتى لا تخمد الندوة ، مع مراعاة الابتعاد عن الانحياز لأى جانب • ويجب الابتعاد كذلك عن تحبيذ آى رآى يصدر عن أحد المشاركين •

من الارشادات المهمة التى يجب آن يعرفها المشرف على ادارة مثــل هــذه الندوات هى أن يضع نفسه دائما موضع المستمع ، ويتكهن بما قد يتولد عنده من رغبات فى التعرف على جوانب الموضوع ٠ ومن هنا فالخبرة الاذاعية بالنسبة للمشرف على حلقة النقاش مهمة جدا ٠

البرامج الشعرية :

القاء الشعر ، فن لا يتاح لكل اذاعى فهو الى حد كبير ،يعتبر من الفروع التى«يتخصص» فيها المرء ٠ فطبعا لابد من الانتبــاه الى ضبط الألفاظ والنحو والمعنى والموسيقى والــوزن ٠ وزن موسيقى الشعر والوقفات الصحيحة ٠

الا آن الشىء المهم هــو حب الشــعر وفهمه والاحساس به ٠وآداء الشعر لا يتآتى الا بعــد خبرة اذاعيــة طــويلة مع الاحســـــاس الدافق

بالشـعر ، مع الأداء الاذاعى حسب المعنى وما
يثيره من مشاعر لدى من يؤديه • وقد يتدعم
بمقاطع موسيقية مناسبة أو لا تكون هناك حاجة
لذلك • والمهم انه حينما تستخدم الموسيقى لابد
أن تكون لهـا ضرورة « ودور » تؤديه ، لا أن
تحشر حشرا لمجرد الاعتقـاد انهـا « تجمـل »
الالقاء الشعرى •

ولا ننسى أن هناك من بين المستمعين أعدادا
كبيرة ممن يعشقون الشعر سـواء التقليدى أو
الحديث ، وهم يحبون له أن يؤدى كما يجب أن
يكون الأداء الاذاعى المتاز • ولكنه يظل دائما
من الفنون الخاصة • لذا نكتفى هنـا بهـذه
العجالة ، تاركين الأمر لأصحاب الاختصاص •

القصة فى الاذاعة :

فن قراءة القصة الاذاعية من الفنون المحببة الى نفوس الكثيرين من المستمعين • ولعل السر فى ذلك راجع الى آنها مشوقة وتثير الخيال • بل ان البعض يفضل سماع قصة قصيرة من الاذاعة ، على رؤية مشاهدها على شاشة التلفزة ، لا شك آن الاذاعة تحرك الخيال فعلا وتترك للسامع حرية الخلق والابداع • خلق الصور التى يرسمها خياله هو ، بينما يستمع الى القصة • وآنا آعتقد آن من يريد التصدى لهذا النوع من الأداء الاذاعى لابد آن يكون لديه المام درامى ومعرفة بالمسرح ، وتطويع للأداء الصوتى يمكنه من تحليل شخصيات القصة تحليلا دراميا سليما ، ثم تقمص كل شخصية يؤديها ، مع القدرة على تصوير الشخصية تصويرا اذاعيا ، ان صح التعبير •

ان ابــراز المعــانى الدقيقة والمشــاعر والأحاسيس التى تتخلل القصــة يحتــاج الى براعات خاصة فى الأداء والالقاء • وهذا الفرع من فروع الاذاعة يؤدى بنا الى الحديث عن :

المسرحيات :

المسرح فى الاذاعة هــو فن الدراما دون رؤية ، أو فن المسرح الصوتى •

المسرح الذى يعتمد عــلى الصــوت فى كل شىء •

ولكى أوضــح ذلك سأستشهد بما لاحظته فى احدى الدورات الاذاعية عن المسرح • ففى أثناء قيامنا بالتــدريب على اخراج مسرحيــة اذاعية طلب منا المخرج الذى يدربنا أن نغادر الاستديو لدى انتهاء دور كل منا فى المسرحية ،

لكى نراه فى غرفة المراقبة ونلاحظ ما يفعل •
وبعد انتهائه من اخراج الرواية الاذاعية سألنا
« هـل لديكم أسـئلة ؟ » وسـألته قائلا « اننى
لاحظت أنك كنت تعطى للممثلين فى الاستوديو
تعليمات وارشـادات وملاحظات صحيحة تماما
ولكنك لم تكن تراهم فى الاستوديو ، بل كنت
مسلطا سمعك على مكبر الصوت • كيف عرفت
ان فلانا كان بعيدا عن الميكروفون ، بينما أنت
لم تره ؟ وكيف عرفت ان فلانا الآخر كان أمام
الجانب « الميت » من الميكروفون ؟

سر المخرج بهذا السؤال الذى أعطاه فرصة
شرح نقطة هامة لنا وهى نقطة تتعلق بالراديو
عموما •

قال انه بحكم تدريب أذنه أصبح قادرا على
التمييز بين الأصوات دون الحاجة الى مشـاهدة
الممثلين • انه يطبق فى الواقع قاعدة الراديو •
فما هـو الا صـوت ، والمسـتمع لا يراك فى

الاستوديو ولكنه يسمع صوتك فقط ، ويحكم عليك بناء على ذلك •

اذا الصوت والصوت وحده هو الأداء وهو المحك وهو المقياس ، وهو باختصار كل شيء فى الاذاعة •

المسرح الاذاعى فرع هام من فروع الاذاعة، ووجوده لا يحتاج الى آى تبرير لأن تأثيره على المستمع مهما كان مستواه ، ثابت ومؤكد •

بل ان البعض يعتقد آن الاذاعة بالذات تصلح لأنواع معينة من المسرحيات التى قد لا تناسب المسرح آو السينما آو التلفزة !

والواقع آن المسرح الاذاعى قد تطور كثيرا فى السنوات التى تلت سنوات الاذاعة الأولى كما طور المخرجون الاذاعيون ببراعة سبل استخدام الموسيقى والمؤثرات الصوتية وآصوات الرواة ، الأمر الذى ساعدهم على تغيير المناظر (وآنا أفضل تعبير المسامع) الاذاعية بسهولة واقناع•

بل انه أصبح لدى المخرج الاذاعى حـرية أكبر مما لدى مخرجى المسرح والسينما والتليفزيون، لأنه لا يوجد بالاذاعة خشـبة مسرح مجسـدة يصعب التنقل عليها • ان بامكان مخرج الرواية الاذاعية الانتقال بنا من آى ركن بالدنيـا الى ركن آخر قصى ، وذلك بمجرد آن يعلن راوى المسرحية عن تغير المكان والزمان •

هنـا تتسلح الاذاعة بسـلاحها المهم وهـو الخيال الذى يساعد المخرج والمستمع فى حرية الحركة والـكلام • وهـكذا انفتح المجال أمام المسرح الاذاعى فى السنوات الثـلاثين الأخيرة انفتاحا هائلا ، ليشمل كل الصور الدرامية ، فيما عدا التمثيل الصـامت ـ طبعـا ـ وحتى هذا ، يمـكن وصفه بالاذاعة لأنه يمـكن نقل التعبيرات التى يؤديها فنان (البنتومايم) الى المستمع عن طريق الشرح •

واكتشفت فى الاذاعة آبعاد وآعماق مذهلة فى خيـال المسـتمع الذى لا يرى الا « بعين »

خياله • وقيل « ان العيون وهى مغلقة أصبحت تكون الصور التى تتخيلها » •

الموسيقى فى الاذاعة :

من الطبيعى أن تستخدم الموسيقى بكثرة فى الاذاعة ، سواء بمفردها أو فى برامج كتبت لها خصيصا ، أو كمقاطع وصل بين فقرات الكلام أو للتعبير والتصوير فى البرامج المختلفة : المسرحية منهاأو الوثائقية أو القصص والشعر • وهى طبعا من الأركان الهامة فى الاذاعة والتى لا يمكن الاستغناء عنها • ومع ذلك يجب أن نوضح فورا أن لاستخدامات الموسيقى فى البرامج الاذاعية حدودا كثيرة ومحظورات وموانع • فمثلا ، حينما تستخدم الموسيقى فى برنامج اذاعى لمجرد الاعتقاد انها تجعل الكلام وتملأ الفراغ ، وللوصل والحشو ، فهذا خطأ

كبير ونحن انما نسيء الى الذوق السليم والى البرنامج نفسه والى الموسيقى ٠

استخدام الموسيقى له قواعده وأصوله ، ويجب أن يكون لها دور كذلك ٠

فاذا قررت استخدام الموسيقى فى نص من النصوص الاذاعية سواء أكان برنامجا وثائقيا أو مسرحيا أو قصة أو شعرا أو غير ذلك ، فلابد أن يكون لديك من الأسباب التى تبرر هذا الاستخدام ٠

الموسيقى ، هى أيضا يجب أن « تقول » شيئا ان صح التعبير ، والمقصود هو أن يكون لاستخدامها ضرورة ٠

يجب أن يخضع اختيار الموسيقى ، عربية كانت أو أجنبية ، الى ضوابط عديدة ، والى حس المقدم أو المخرج أو المنتج أو المسئول عن البرنامج ٠ ويجب أن يكون الشخص الذى قرر

استخدام الموسيقى على استعداد لتبرير أسباب هذا الاستخدام • لماذا استخدم مقطوعة موسيقية بالذات ، فى آحد البرامج وللمــدة التى ارتأى وضعها للمقطوعة الموسيقية ؟

الخلاصــة ، ان اســتخدام الموســيقى فى النصوص الاذاعية يجب آن تكون له ضرورة ، بمعنى أننا اذا لم نستخدم الموسيقى المعينة فى المكان المعين ولمدة معينة ، فهل سيؤثر ذلك عــلى توضــيح النص وحسن ايصــاله الى آذن وفهـم المستمع ؟

يجب آن يدرك الاذاعيــون ان الموســيقى ليست حشوا ولا ملأ للوقت ، وتمضية الدقائق والثوانى • ان هذا خطأ شائع بين الاذاعيين ، أى انهم « يملأون » الوقت بالموســيقى ، وهــذا ما يلجأ اليه « هواة » الاذاعة الذين لا يعرفون منها شــيئا ســوى (الدش) والجعجعة دون آن ترى منهم لا طحينا ولا دقيقا ولا •• اذاعة •

الاذاعى الحق أحيانا يجد نفسه مضطرا الى الاستماع الى عشرات القطع الموسـيقية ليختار منها المقطع المناسب الذى يشـعر أنه « يقول » الشىء الناقص فى النص والذى لا يمكن التعبير عنه الا بالموسيقى وبهذا المقطع بالذات منها ٠

هــذا هو الأصل والأســاس في الاستخدام الموسيقى الصحيح بالنصوص الاذاعية ٠

الصوت الاذاعى :

أحب منذ البداية أن اطمئن الـكثيرين من الاذاعيين الناشئين ، الذين يحبون العمل الاذاعى ولكنهم لا يعتقدون أن أصواتهم « اذاعية » أو « جميلة » ، بأن أقول لهم ان هذا خطأ يقعون فيه ٠ المهم فى الصوت الانسانى أن يكون خاليا من العيوب الطبيعية (أى الخلقية) ٠

فاذا كان الصـوت عاديا ، فانه خاضـع ولا شك للتدريب والتعليم ، شرط توفر الحماس والرغبة طبعا • وهذا يعنى أن معظم الأصوات صـالحة للاذاعة مع شيء من تدريب الصـوت ودراسة خصائصه والعناية بحسن استخدامه •

لا يغيب عن بالنا أن كيفية الكلام واستخدام الصـوت الانسـانى هى عادات نكونها على مر السنين فمنـذ الصغر يدرك الانسـان ضرورة الاتصال الشفاهى مع غيره من أفراد البشر ، ثم ينتهى به الأمر الى تكوين عادةالكلام بعد عمليات متتابعة من التقليد والاختيار • لذا كان تعديل هذا « السلوك » الصوتى الذى اختـاره الفرد منذ الصغر ليس بالأمر الهين • ومع ذلك فان من يتصدى للعمل الاذاعى سـيضطر الى اعادة «تقييم» الصوت والتعرف على خصائصه ودراسة تفاصيله ، واختيار أنسب الطرق اليه فى الكلام الواضح حتى يكون الاذاعى الناجح •

سر المهنة :

هذه ارشادات عملية لمن يشرعون في ممارسة مهنة الاذاعة ويرغبون في الوصول الى المستوى الاحترافي فيها . وأضيف أنني أعتقد اعتقادا جازما أن من يمارس العمل في الفن الاذاعي لابد له أن يصبح من محترفيه ان أراد النجاح ، ولن يتأتى له ذلك الا اذا ألم بفروع هذا الفن ومارسها .

أما انتشار الاذاعة ، فنحن في غنى الآن عن الحديث عنه بعد أن ذهب بريقها الأول ، وأصبحت واسعة الانتشار فوصلت حتى الى أقاصي المناطق الريفية . وقد تطورت الفنون الاذاعية تطورا هائلا في غضون السنوات الثلاثين الماضية ، وأصبح هذا التطور يتطلب استخدام اذاعيين مهرة يتقنون مهنتهم اتقانا تاما .

لذا ، وجب أن يعرف من يريد التصدى للعمل الاذاعى ، أسرار المهنة ٠ وسنحاول هنا أن نعمل على تسليح « جنود » الاذاعة بالمعرفة اللازمة لعملهم :

أخطر أعداء الاذاعة أن يصاب مستمعوها « بالملل » ٠ فهذا هو العدو الذى يجب أن نحاربه جميعا ، لأنه الكارثة الكبرى بالنسبة الى أى اذاعة ، بينما النصر هو فى اجتذاب أكبر أعداد من المستمعين ٠ هنا يجب أن نقرر حقيقة هامة، من المفيد أن يدركها الاذاعى ، وهى : ليس على الاذاعة أن تخشى — على الاطلاق — منافسة من أى وسيلة أخرى من وسائل الاعلام ٠ فلا الصحف تنافسها ولا التلفزة ولا المسرح أو السينما ٠ وذلك لأن الاذاعة سريعة الأثر سهلة المنال ، فأنت تستطيع أن تأخذ جهاز الراديو معك أينما تكون سواء فى السيارة أو على الشاطىء بالمنزل أو بالمكتب فى السرير أو بالحديقة ، خصوصا بعد انتشار راديو (الترانزيستور) فى كل قرى

العالم • وأصبح خيال الانسان يرى « بعين » الاذاعة •

وسنتناول ذلك بمزيد من التفصيل فى ثنايا الكتاب •

ومن أسرار المهنة كذلك ، أن الاذاعة تتطلب الدقة والتوقيت المضبوط فى كل شىء خذ مثلا جداول البرامج الاذاعية • ماذا ترى فيها ؟ أليست عبارة عن قائمة من المواعيد التى نضربها مع المستمعين بعد أن حددنا مواعيد أخرى سابقة ، مع المذيعين والمترجمين والكتاب ومهندسى الصوت ، وكل من يشترك فى اعداد البرامج لنستمع • لذا كان ضبط المواعيد بدقة فى الاذاعة ليس مجرد عادة يصر عليها الاذاعيون بل هى ضرورة حتمية لامكان انتاج البرامج بالتعاون مع الجهاز الفنى •

ومن الأمثلة الأخرى على ضرورة اتباع الدقة التامة فى ضبط الأوقات والمواعيد

بالاذاعة ، لنأخـذ مسـألة انهاء اذاعة برنامج لاستقبال برنامج آخر • اذا حدث آى خلل فى هذه العمليـة ، يعم الارتبـاك كافة البرامج ، وماذا مثلا عن نشرات الأخبار ؟ فالمتعارف عليه أنها تبدأ فى وقت محدد وتنتهى فى وقت محدد ليأخذ غيرك مكانه أمام الميكروفون لأداء مايتبع ذلك • وهكذا فى كافة فروع الاذاعة ، سترى أن الدقة وضبط التوقيت آمران «مقدسان» •

الثوانى ، لا الدقائق ، تمر ببطء شديد فى الاذاعة ، والقاعدة انه اذا دام صمت لأكثر من ثلاث ثوان ، فـلابد من تفسير ذلك للمسـتمع والاعتذار • وهذا يجعل المشتغل بالاذاعة على أهبة اليقظة والاستعداد الدائمين ــ وهذه هى ضرورة الدقة فى الاذاعة •

من أسرار هذه المهنة كذلك ، انه يلزم على المشتغل بها أن يلم بأمور كثيرة ، منها ما يتعلق بعمله مباشرة ومنها ما يتعلق بعمل الآخرين من

أفراد الجهاز الفنى مثلا • فيجب أن نتعرف على تقنيات الاستوديو فأنت تعمل فيه • يجب أن تطلع على كل ما يثير اهتمامك فيه ، من ميكروفونات والصوتيات والأجهزة المستحدثة ، فهذا كله يفيدك فى عملك الاذاعى •

تعرف اذا على عمل الفنيين من الناحية العملية التى تفيدك فى عملك ولكن لا تغال فى ذلك لأنه لديك أشياء أخرى هامة تتعلق مباشرة بمهنتك •

ويجب أن تتذكر باستمرار أن مهندس الصوت أو العامل الفنى هو المسئول .. لا أنت ـ عن أجهزة الاذاعة وهو المكلف بتشغيلها وصيانتها ••

عامل الآخرين بروح الزمالة والتعاون ، وتجنب التوتر ، لما له من آثار مدمرة على الأداء والصوت بالذات •

لا تنس أن تحتفظ لكل برنامج يذاع

باستمرار ، ببرنامج احتياطى بديل يذاع وقت حدوث أى عطل سواء آكان فنيا آو انسانيا ، مثل تغيب المذيع أو ما شابه ذلك •

كل النصوص التى تذاع ، يجب آن تمر على رئيس التحرير آو المسئول للموافقة عليها • وهذه هي الطريقة المتبعة لضمان توافق محتويات البرامج مع التعليمات الادارية ومجانبتها للمحظورات ، على آن تتم هذه العملية قبل اذاعة النصوص طبعا •

المذيع :

صوت المذيع ، هو الصوت الأهم فى الاذاعة ، فهو الذى يسمع أولا ، وهو الذى يربط بين المواد الاذاعية ويضمها الى بعضها البعض •

لهذا ، كان اختيار المذيع الجديد ، آمر مهم

للغاية • فمجرد الجلوس أمام الميكروفون وتأدية النصوص الأداء السليم هو فى حد ذاته يتطلب مقدرة معينة بالاضافة الى توافر الثقافة اللازمة وهى أمر ضرورى لا غنى عنه بالنسبة للمذيع• هذا شرط أساسى ، على عكس ما يتبادر للذهن احيانا من أن الصوت الجيد ضرورى • فالصوت الجميل ـ وحده ـ لا يكفى ، لجعل الشخص مذيعا جيدا ، اذ قد يكون لديه الصوت لكنه عاجز عن أداء النصوص • فالصوت هو مجرد آلة أو الوسيلة التى يجب أن تكشف عما وراء صاحبها من علم وثقافة وخبرة •

أما عن الشروط التى يجب توافرها فى المذيع فهى :

ـ أن يكون قد وصل الى مستوى التعليم الجامعى أو ما يوازيه •

ـ أن يكون ذا صوت غير منفر •

ـ أن يكون قادرا عــلى النطق السليم ، مع الخلو من العيوب الخلقية فى النطق ·

وأنا أعرف محطة اذاعيــة تقــدم لها ألف ومائتا شخص للعمل الاذاعى ، فاختارت منهم بعد الفرز ، اثنين !

نعم ، المذيع الجيد يجب أن تتــوافر فيـه شروط كثيرة مهمة ، كأن يكون قادرا على نطق أسماء الأشخاص والأماكن بكل اللغات تقريبا ، وأن يكون ملما بالأحداث الجارية فى كل مناطق العالم · ففى كل وقت تظهر أســماء جــديدة وحقائق جديدة ·

أما اذا ابتلى المذيع بالعصبية وضيق الصدر ، فهذا يكفى لارتكابه الأخطاء ·

وتذكر أن بذل المجهود الجســدى الشــديد مثل الركض أو المجهــود العصــبى قبل الاذاعة مباشرة ، يعوق أداءك الاذاعى تمــاما ، ويؤثر

على تنفسك • وسنفصل الحديث عن ذلك كله فيما بعد •

ومن ناحية أخرى يجب أن يتحلى المذيع بالمرونة والأعصاب الهادئة والاستعداد للعمل المفاجيء ، لأن الطوارىء تنشأ باستمرار فى الاذاعة ، وهذا أمر يعرفه جيدا من عمل بهذا المحيط الاعلامى • وفى هذه الظروف يجب أن تكون لدى الاذاعى ، القدرة على التفكير السريع والسليم فى نفس الوقت ، وتحت هذه الظروف الشاقة وتحت الضغط • وهذه من الميزات الهامة التى يجب على المذيع الناجح أن يتحلى بها •

ان تدفق المواد الاذاعية يمكن أن يتوقف لسبب من الأسباب ، والتيار الكهربائى يمكن أن ينقطع ، وقارىء الأخبار يمكن أن يتأخر ، كما قد يخطيء العامل الفنى فى وضع اسطوانة أو شريط مسجل أو غيره ، وهنا يجب أن يتحلى

المذيع بالحضور الذهني وسرعة التصرف السليم ٠

ولعل سائلا يسأل ، « ولكن هل يمكن أن «يتعلم» المذيع الجديد سرعة التصرف مثلا في مثل هذه الطوارىء ؟»

الاجابة على هذا التساؤل هى بالايجاب ٠ نعم، بالامكان أن يتعلم المرء ذلك وأن يلقن نفسه ، كل هذه الأمور التى سيقوم بها اذا تعطل الارسال أو توقفت اذاعته أو برنامجه ٠ وليبدأ بالتدريب على ماسيقوله حينذاك ، حتى يمكن له أن ينفذ ذلك وقت الضرورة بهدوء وجدية واقناع ٠ فمثلا اذا أعلن المذيع عن برنامج معين ، ولم يسمع هذا البرنامج ، فطبعا سيعيد العامل الفنى فتح الميكروفون له لكى «يتصرف» ٠ هنا تظهر قدرة المذيع المتدرب ، ومقدرته على التصرف الذى يكون قد استعد له مسبقا ، فنسمعه يقول مثلا «سيداتى ، سادتى نأسف لعدم تمكننا الآن من

تقديم البرنامج المعلن عنه ، وبينما ننتظر تقديمه ، دعونا نستمع الى هذا الفاصل الموسيقى» • وطبعا الفواصل الموسيقية موجودة باستمرار فى غرفة المراقبة وفى الاستوديو ، ويمكن تشغيلها فورا • وانه لمن المستحسن أيضا أن يكون المذيع أو مقدم البرنامج على علم بمحتوى البرنامج وفحواه حتى يمكنه وقت الطوارىء أن يتحدث عنها مباشرة للمستمع • والشىء المهم هو ألا يمر خطأ (مادام قد أذيع) دون اعتذار من جانب المذيع ، بصورة سريعة ولائقة ، ودون ارتباك •

والحديث عن ارتباك المذيعين يؤدى بنا الى الحديث عن كيفية التعود على الأداء الاذاعى الهادىء الرصين • فما هو سر القادرين على هذا الأداء الهادىء والذى يوحى للمستمع أن ذلك المذيع واثق من نفسه أمام المذياع ؟

أنا شخصيا أعتقد أن معظم الارتباك يأتى

من التفكير فى (الجمهور) ، وتخيل (ملايين) المستمعين الذين ينتظرون المذيع أو قارىء النشرة أو المتحدث وغيره • وهنا مكمن الخطأ كما بينا فى الصفحات السابقة •

وأنا كنت أعرف مذيعا شابا كان يقول لى انه ما من مرة فكر فيها فى مواجهة الجمهور والا وتنتابه حالة عصبية لايستطيع التحكم فيها ، وكانت تؤثر على صوته ، وتكاد تصيب حباله الصوتية بالشلل • فسألته • وهل تنتابك مثل تلك الحالة اذا قرآت نصا دون مواجهة الجمهور ؟» فقال «بالطبع ، لا» • فعلقت من جانبى قائلا «وهنا يكمن الخطأ ، لأنك تفترض وجود جمهور هو فى الواقع غير موجود • ان مستمعك ليس سوى شخص واحد أو مجموعة صغيرة من الأفراد ، وهم يحبون أن تعلمهم بما تريد أن تقول بصوت هادىء طبيعى ، وهذه هى حقيقة الامر» •

(فملايين) المستمعين الذين ينتظرون المذيع هم فى الواقع مجرد وهم ، لا وجود له · ان سر نجاح من يمارس مهمة الحديث العام أو الاذاعة، هى عدم التفكير فى أحد ولا فى أى شيء سوى فيما يقـرأ وكيف يؤدى أفضـل الأداء وأكثره اتقانا ·

كن مذيعا ناجحا واقرأ الارشادات التالية :

كن صديقا لمستمعك ، وهو سيشعر بذلك من ثنايا صوتك ، وسـيكون رد فعله ممـاثلا · وهو حينما يدير المذياع ليستمع اليك فهـو فى الواقع يوجه اليك الدعوة بدخـول بيته ، فى حجرة جلوسه حيث قد يكون مع أفراد عائلته ، ومطلوب منك أن تعلم العائلة بأمور تهمهم · هذا هو جو الود والصداقة الذى يجب أن تفكر فيه · فلا تفكر فى القاء خطب أمام جمهور وهمى ·

تذكر باستمرار أنك تذيع لفرد أو لأفراد عائلة واحدة على أكثر تقدير ٠

لاترفع صوتك أمام الميكروفون ، ولاتتوقف طويلا بين الجمل ،فذلك من علامات الأداء السيء، أداء الهاوى البعيد عن الاحتراف المطلوب ٠ ان الوقفات الطويلة تفسد المعنى وتثير سخط المستمع ، الذى يدرك جيدا أن للوقفات معاييرها وتوقيتاتها وضروراتها كذلك ٠ انه يدرك بحسه الفطرى السليم أن الوقفات الصحيحة ضرورية للأداء المتقن وابراز المعانى ٠ أنها وقفات و «نقط» «وفواصل» «وعلامات الاستفهام» «وعلامات التعجب» وماشابه ذلك ٠

الصمت اذا طال قليلا عن حدوده الاذاعية المعروفة يصبح ثقيلا ثقل الظلام ، ورهيبا رهبة المجهول ٠ الصمت بالاذاعة مخيف فعلا لأن الثوانى تمر بطيئة جدا كأنها الدهور !

كن ـ فى أدائك الاذاعى بصفة عامة ـ

كأنك تتحدث ، ولا تقرأ • لاتخلف لدى المستمع الانطباع بأنك تقـرأ نصـا مكتوبا ، بل اجعله «يسمعك وأنت تتحدث» اليه لاتقـرأ أمـامه • فالأولى تجذبه اليك ، بينما الثانية تنفره منك •

من القواعد المهمة فى الاذاعة ، أن يحتفظ المذيع باستمرار بمستوى صوته عاديا حتى آخر حرف فى الكلمة ، وآخر كلمة فى الجملة • هذه نصيحة مهمة للغاية ، ولكن ما المقصـود منهـا بالضبط ؟

المعروف أننـا ـ جميعا ـ نميل الى انهـاء قراءة الجمل حسب خط بيـانى هابط ، أى أن الصوت يميل الى الانخفاض لدى نهايات الحروف فى الكلمات ، والكلمات فى الجمل • وهذا عيب نقع فيه دون أن نشـعر ، وهـذا لايغتفر فى الاذاعـة بالذات حيث وضـوح النطق هـو من الضروريات بل والبديهيات ، لأن مستمعك يريد أن يسمعك واضحا جليا فى كل حرف من حروف

الجملة سواء فى أولها أو فى وسطها أو فى آخرها ٠

أما أداء النص الاذاعى لابراز المعنى ، فلا يكون بتعلية نبرات الصوت أو خفضها ، بل يجب تجنب هذا ٠ فابراز المعنى يتم بالتعبير الصوتى ٠ تذكر باستمرار أن المستمع لا يراك انه يسمعك فقط ٠ لذا فكل ما تريد أن تنقله اليه ، يجب أن يكون بالتعبير الصوتى فقط ، سواء أكان ذلك من الأفكار ، أو العواطف أو الشعور بالغضب أو بالحماس أو بغيرهما ، كل ذلك يجب ان يصل الى المستمع عن طريق التعبير بالصوت ٠

والسبيل الى ذلك هو الضغط على بعض الكلمات ، أو بالتخفيف من الضغط على بعضها الآخر ٠ ويتم التعبير كذلك عن طريق زيادة حدة النطق أو تقليلها ، حسب المعنى الذى يراد ابرازه ٠ ولكن تجنب باستمرار تعلية الصوت أو خفضه ٠

لكى تتدرب على نصك الاذاعى ، حاول أن تقــرأه بصــوت عال بشرط آن يكــون النص مكتـــوبا للاذاعة ، آى مكتــوبا ليــؤدى آمام الميكروفون ، وذلك لكى تتعود آذناك على سماع صــوتك ، وحينذاك ســيتولد لديك تدريجيــا « الشعور » بالكلمات ٠

اقرأ آمام الميــكروفون ، فالتــدريب آمام الميكروفون قبل الاذاعة مفيد للمذيع وللمستمع فى نفس الوقت ٠ وهــذا آيضا مفيــد لقياس وضبط المسافة التى يجب آن تكون بينك وبين الميكروفون ، وهى مسافة يجب آن تحافظ عليها بعد ذلك ٠

الميكروفون :

انه آلة حســاسة جــدا ، وهــو يزداد دقة وتحسنا وتطورا عاما بعد عام ٠

الميكروفون يلتقط آقل حركة آو صوت مما قد لا يلاحظه المذيع ، ويضخمها الى حد كبير أثناء الاذاعة مما يوجب الحذر الشديد آثناء الجلوس أمام هذه الآلة الأساسية فى الاذاعة ۰ فمثلا « خشخشة » الورق آمام الميكروفون تبدو فى الاذاعة وكأنها الرعد تقريبا ، مما يحتم علينا آن نمسك الأوراق بحذر شديد أمام الميكروفون ۰ كما يجب عدم شبك الأوراق بالمشابك آمام الميكروفون ۰ وبعض الفراغ من قراءة كل ورقة ، تلقى بهدوء شديد على الأرض ۰

التنفس :

التنفس آمام الميكروفون ، يجب آن يكون صامتا ، وهادئا ۰

ويجب آن تتم كل حركة شهيق عن طريق

الفم والحلق المفتوحين ، فاذا لم يفتح المتحدث فمه أثناء التنفس أمام الميكروفون واذا لم تكن ممرات الحلق « سالكة » فان التنفس سيسمع وكأنه بخار صادر عن عادم • ونذكر مرة أخرى أن الميكروفون يلتقط أى صوت سواء أكان مقصودا للاذاعة أم لا •

الصوت الانسانى :

« اعرف صوتك بنفسك » !

قديما قال أبو الفلاسفة ، سقراط ، عبارته المشهورة التى وجدها على جدار معبد « دلفى » المدينة اليونانية القديمة • اعرف نفسك بنفسك ، ونحن نقتبس العبارة ونقول « اعرف صوتك بنفسك » ، فهذه فى نظرى أفضل الطرق « لاستقراء » معالم الصوت والاستفادة منها فى الأداء الصوتى السليم •

فالصوت الانساني هو آداة التعبير الاذاعى، والميكروفون ينقل آى تغير فى الصوت مهما كان طفيفا • والصوت الانسانى هو كآلة مركبة ، ويقول الخبراء عنها أن تركيبها يشبه أو يمكن أن يقارن ببعض وحدات الأرغن الهوائى • والواقع آن الصوت الانسانى يتولد بنفس الطريقة تقريبا ، آى عن طريق مولد ، وهو ما نسميه بالحبال الصوتية التى تعمل بالارتباط مع الأنبوت الصوتى • وهذه الآلة المعقدة تشغلها غرفة الهواء الانسانية آى • • الرئتان •

والقواعد الأساسية لاستخدام الصوت هى :

- دع حلقك يستريح ويسترخى •
- أرح عضلات الفك والفم •
- اشرع فى الكلام ، وحينئذ ستكون النبرات الصوتية طبيعة ، دون اجهاد اللسان وسقف الحلق والشفتين والأسنان •

هل يمكن تدريب الصوت وتحسينه ؟

نعم • ولعله من المفيد أن نقدم هنا بعض الارشادات العملية ، لتدريبات صوتية بسيطة يمكن ممارستها ذاتيا • وهى تدور حول تحسين مخارج الصوت ونوعيته • مثل الاصرار على النطق الكامل وتشكيل كل أصوات الكلمات بصوت عال ، بشكل مبالغ فيه حتى يظهر فى النهاية « عمق » جديد للصوت • فاذا كان الصوت عالى النغمة ومعدنى الرنين ، يمكن أن يتحول تدريجيا وبعد التدريب الدؤوب الى صوت جيد وله جرس ناعم •

وفى النهاية نقول ان أعظم الأصوات تكون عديمة الفائدة أو القيمة فى الاذاعة اذا لم يكن لدى أصحابها ما يقولون •

تدريب الصوت وتصحيح أخطاء النطق :

الشوط الأول ـ كما قلنا سابقا ـ ألا تكون هناك عيوب خلقية فى النطق ·

والشرط الثانى ، هو الاستمرارية والمداومة على التدريب ، مرارا وتكرارا ، والا فانه من المستحيل تصحيح أخطاء الصوت · وهذا شرط أساسى ·

والشرط الثالث ، هو أنه يجب أن نعالج كل مشكلة من مشاكل النطق على حدة ، وألا نحاول علاج عدد من المشاكل مرة واحدة ·

وأخيرا ، تذكر باستمرار أن اصلاح أخطاء النطق وتكوين عادات جديدة فى استخدام الصوت ، لا يتأكد الا بمداومة النطق حسب النمط الجديد ، حتى تصبح عملية النطق الجديدة عادة مثل بقية العادات ·· ولكى تتمكن

من تكــوين عادة جــديدة فى النطق لابــد من مراعاة الآتى :

ـ الاعتراف بوجود مشكلة فى النطق ٠

ـ التعرف على الخطأ ، وكيفيــة حــدوث الانحراف عن النطق الصحيح ٠

ـ التمييز عن طريق السماع ، بين العــادة الخاطئة فى النطق وبين العادة الصحيحة ٠

ـ التدريب المستمر مع التكرار بغية تسهيل اكتساب العادة الجديدة ٠

ـ تطبيق هذا « الانجاز » الجديد ، ونقله الى حين الاستخدام اليومى فى الحياة العملية مع عدم قصره على العمل الاذاعى ٠

لاحظ أنك أحيانا قد تخجل من اســتخدام العادة الجديدة فى النطق أثناء الحياة اليومية أو تتردد فى ذلك رغم أهميته ورغم أنك قادر تماما عــلى النطق الصحيح ٠ وهنــا قد تنشــأ

مشكلة كبيرة بالنسبة للشخص الذى يريد اصلاح نطقه • انه من الضرورى جدا أن يسمعك الآخرون وأنت تتحدث بالطريقة الجديدة الصحيحة ، لذا وجب عليك أن تركز على اهتمام الآخرين (أى المستمعين) وليس على المتحدث •

كيف نتجه الى النطق السليم ؟

لكى تستخدم صوتك أفضل استخدام ، يجب مراعاة حقيقة هامة وأساسية ، وهى •• الاسترخاء • وهذا يعنى أن تبدأ بتدريبات استرخائية بسيطة ، يكون القصد منها استبعاد المجهود العضلى الزائد والذى كثيرا ما يكون هو السبب وراء اخراج الصوت اخراجا غير سليم •

واستبعاد المجهود العضلى الزائد يكون مثلا بالاستغناء عن حركات الوجه العصبية ، وحركات اليدين، وحركات الرجلين أثناء الأداء الاذاعى •

وطبعا ، هذه كلها حركات تعوق الأداء الصوتى السليم ، والنطق الصحيح • وهذا راجع الى أن نشاط كل العضلات فى جسم الانسان متصل ببعضه البعض • ولهذا فان التوتر يصل الى الذراعين والكتفين والرقبة ، مما ينجر عنه صعوبة التنفس وهذا يؤثر بدوره على كيفية خروج الصوت ، أى على نوعيته •

وكذا ، اذا مددت ذقنك الى الأمام أو وضعت يدك عليها ، فان ذلك سيسبب توترا فى الحلق والفكين مما يؤثر على النطق وينال من سلامة الصوت •

وطبعا هذا لا يعنى بأى حال ، أن مشكلة التوتر ترجع الى أسباب جسدية فقط ، بل انها قد ترجع الى القلق ، فمجرد التصدى للحديث العام الى الناس ، قد يثير هذا القلق •

وفى بعض الحالات ينشأ التخوف الذى قد يتحول الى خوف حقيقى وربما سبب لك

« رعبا » أو فزعا مرضيا من الميكروفون قد يظل ملازما لك مدة طويلة ، وفى بعض الحالات يصعب التخلص منه ٠

ولتلاقى هذا كله ، حاول باستمرار أن تتبع النصائح التالية أثناء عملك الاذاعى أمام الميكروفون :

ـ تأكد انك تفهم ما تقرأ وانك مقتنع بهذا الفهم ٠

ـ تذكر أن مستمعيك يودون أن تتحدث اليهم حديثا وديا ، متدفقا ، سلسلا وبليغا بل انهم يتمنون لك النجاح فى انجاز هذه المهمة ، وستجد المستمع مبديا كل رغبة لفهم ما تقرأ على شرط أن يكون كلامك واضحا ٠

ـ استخدم ألفاظا ومفردات تعرفها جيدا وابتعد عن غريب اللفظ ٠

ـ كن مستعدا على الدوام، بأن تحضر نصك مسبقا ٠

ـ اذا أخطأت مرة ، تنبه الى تأثير ذلك على ما يتلوه من الأداء ، ولا تدع هذا الخطأ يجرك الى ارتكاب أخطاء عديدة بعد ذلك .

ـ قد يكون الخطأ بسبب الخوف من «عدائية» مستمعك أو جمهورك .

ـ وقد ينشأ من عدم التأكد من نصك .

ـ أو من الخوف من العجز عن ايصال ما تقرأ الى المستمع .

ـ أو من شعور بالعجز عن النطق السليم والكلام الصحيح .

فى كل هذه ، يمكن التغلب على الخوف بالاستعداد المسبق .

الاستماع للاذاعات :

نحن نردد دائما ان الاســتماع الى الاذاعة أصــبح ســهلا ميسورا ، وخاصــة بعد تحقيق الانجازات العلمية الباهرة فى مجال الاتصالات والمعدات الفنية المتطورة ٠

ورغم أن هذا صحيح تماما الا أن كل دارس لفن الاذاعة يجب أن يعلم ـ من ناحية أخرى ـ أن الاستماع المرهف للراديو ، ليس فى واقع الأمر ، شيئا سهلا ، بل قد يكون العــكس هــو الصحيح !

الاستماع الى الاذاعات ، وسط عالم يتجه سريعا نحو البحث عن أسهل ســبل الاتصــالات وأسرعها ، يزداد صعوبة باستمرار ، لأن الكلمة المسموعة ـ كما ذكرنا سابقا ـ هى بالضرورة صعبة الالتقاط ، فهى تذهب ـ فور اذاعتها ـ

أدراج الـــرياح ، وتتبخــر حال خــروجها من المذياع • فهى تذاع وتتــلاشى • صــحيح أنك تســمعها ، ولــكن هل تستطيع استعادتهــا من صاحبها كلما أردت ؟

هذا بالاضافة الى أن الانسان ميال بطبعه الى النظر الى من يتحدث اليه ، وذلك لأنه يستعين بحركات وجهه وربما ، حركات يديه أيضا على فهم واستيعاب ما يقول ، ولتنشيط اهتمامه بما يسمع •

اذا ، يمــكن القــول أن الاســتماع دون « مشاهدة » هذه الحركات أصبح يتطلب منــا نــوعا من التعــود بل وربما « التخصص » فى ذلك • فالاستماع بهــذه الطريقــة (أى كما نستمع الى المذياع) يتطلب بذل مجهود خاص •

ألم تلاحظ أن أشخاصا كثيرين لا يستطيعون الاستماع الى أحب أنواع الموسـيقى اليهم دون أن يشغلوا أنفسهم بنشاطات مرئية ، أى أنهم يستخدمون أنظارهم كذلك ؟

لكن الأشخاص الكفيفين لا يعانون ـ بطبيعة الحال ـ من صعوبة التركيز على الاستماع لأنهم مجبرون على الاستماع (دون المشاهدة) . كما انه يتحتم عليهم الاستماع مع فهم ما يسـمعون والا أصبح عالمهم « مخيفا وبشعا » .

التركيز الراديو فوني هو اذا آسهل بالنسبة للشخص الكفيف منه بالنسبة للشخص المبصر . هذا الشخص الكفيف الذى تعلم آن يعيش وسط عالم يزخر بالأصوات المتشابكة والمختلطة التى هى آصوات الحياة من حوله ، وهو ينصت اليها ويميز بينها بسرعة شديدة ويستخلص معانيها ويرتبها في عقله محيلا اياها الى قوالب وأنماط ترتبط لديه بالأمور العملية .

فالشخص لا يمتاز بقوى خارقة للعـادة ، ولكنـه « اضـطر » الى تطوير ملكات سـمعية لديه ، لم يضطر الشخص المبصر اليها .

ولعله من الطريف والمفيد فى الوقت نفسه أن يحاول كل منا القيام بالتجربة التالية :

اجلس فى غرفة مظلمة ، واستمع الى شىء مسجل أو تحدث واستمع الى صوتك، وستكتشف أن الكلمات اكتسبت (فجأة) معانى جديدة لم تكن تشعر بها من قبل • كما ستلاحظ أن تركيباتها تجلت أمامك بعد عزلها فى الظلام ، وبعد وضع الكلمات تحت « مجهر » الخيال ، وهو وضع لم نألفه من قبل ، فى وضح النهار •

ولكن ما هو شكل هذا العالم « المتخفى » ؟ وأى الأصوات تأتى من أى اتجاه ؟ ومن أى بعد ؟ اننا نشعر فجأة أن الأمر ينقلب الى ما يشبه الكابوس وأننا اذا استطعنا أن « نرى » فسنشعر بالأمان !

هذه الأصوات التى تصدر وسط الظلام ، انها بلا سياق وبلا تحديد وبلا تعريف • انها « خالية » من الشكل والجوهر ، وها نحن تائهون فى الظلام ، نحاول أن نتخيل صورة فى عقولنا ، وهى صورة ينكشف « زيفها » حالما

تزيل العصابة عن أعيننا • ويتضح أن تفسيرنا كان بعيدا عن الحقيقة ، وبمعنى آخر أننا كنا عاجـزين تماما عن استيعاب الأصـوات دون مشاهدة أصحابها •

وهذا هو حال من يستمع الى « الراديو » • وما عليـه الا أن « يتـدرب » أكثر مما نظن ليتعرف على أصوات العالم ، ويشعر بالأمان • ويكفى أن يسود صمت طويل وأنت فى غرفة مظلمة حتى ينتابك الخوف ، وهـذا يشرح ما ذكرنا آنفا من أن طول فترة صمت فى الاذاعة تبدو كأنها « دهور » رغم انهـا لا تزيد عـلى بضع ثوان •

ومن هنـا نفهم ضرورة تصـميم البرامج الاذاعية لمستمع « كفيف » ان صح التعبير ! أى أن نشرح له كل شىء ، بالكلمات : بالصوت أو بالصمت لأن الصمت له مدلوله أيضا ، بالتوقيت الصحيح وتنسيق الأداء •

ورغم تشابه التجربتين : تجربة الرجل الكفيف ، وتجربة من يستمع الى الاذاعة ، الا أن هناك اختلافا مهما • فمجموع الأصوات التى يسمعها مستمع الراديو من الاذاعة ، صممت بعناية « مقدما » بهدف احداث أثر نفسى معين •

وما علينا الا آن نتذكر اننا نخطىء أحيانا فى التعرف على صوت شخص نعرفه جيدا أثناء حديثه معنا بالهاتف • وهذا النوع من الأخطاء ، يجب تجنبه فى الاذاعة •

فالاذاعة تعتمد على الصوت فقط لذا لزم تعويض هذا النقص الذى تعانى منه الاذاعة وذلك بمساعدة المستمع على فهم واستيعاب ما نريد آن نقول ، وترجمة أصواتها المسموعة الى لغته الخاصة لتجد طريقها الى دماغه •

أما المستمع للاذاعة ، فهو يستخدم خياله لتحويل الأصوات الاذاعية الى صور وأفكار

وأنغام وعواطف ومشاعر • وفى كل الحالات فان المستمع يقوم بنفسه بهذه العملية وهو يفعل نفس الشيء الذى يقوم به الرجل الكفيف من تحويل الأصوات الى صور وأفكار وأنغام وعواطف ومشاعر •

ورغم انها قد تكون قليلة الصلة بالحقيقة والواقع الا انها « مريحة » بالنسبة له •

الاذاعة اذا ، تتوجه بالخطاب الى خيال المستمع ، دون دعوة أو طلب ، فهى تدخل دار المستمع مباشرة ، وهى صممت لهذا الغرض بالذات • وقد أصبحت وسيلة اتصال شخصية بين المستمع وبين البرنامج وكاتبه • ان جمهور الاذاعة « العريض » ما هو الا جمهور مكون من مجموعات من أفراد تكون انفعالاتهم فردية لا جماعية •

فالمذيـــع يســـــتطيع أن يهمس فى أذنك ، والكاتب الاذاعى يمكنه أن يطرق أدق المعـــانى وأن يعبر عن كافة المشاعر ٠

ورغم ذلك كله تظل هناك بعض المساوىء ، فالمستمع يستمع اليك وهو فى غرفته محاط بما يمكن أن يشغله عن حديثك أو اذاعتك ، من أمور حياته اليومية ٠

وهو لم يدفع ثمنا لمقعد كما يفعل أفراد جمهور المسرح والسينما مثلا ٠ فاذا لم يعجبه ما يسمع من الاذاعة ، فلا أسهل عنده من أن يمد يده الى مفتاح المذياع « ليغير المحطة » كما نقول عادة أو « ليغلق » الراديو ٠

ومســـتمع الاذاعة بعيـــد كذلك عن تأثير الجمهور المحيط برواد المسرح أو السينما ٠ فهو اذا « ســـيد الموقف » حينمـــا يكون فى حجرته مستمعا وحده الى الاذاعة ، وهو الجمهور بعينه ، ويصبح ذلك « الصندوق السحرى » خادما له !

وهو يستمتع وحده بذلك البرنامج الاذاعى الذى أعد خصيصا له • وهذا الموقف يشبه الى حد كبير موقف من يقرأ قصة أو قصيدة شعرية يستمتع بها وحده • الا أن عالم الراديو يظل ـ دائما ـ عالما فريدا وخاصا ، يلعب فيه الخيال دورا مهما وأساسيا ، وذلك بالنسبة للطرفين . الموصل ، والمستقبل • حيث ينطلق العنان للخيال ، ليتحرر ويثير ما يشاء من صور وأفكار •

ونحن لن نمل من تكرار قصة الطفلة التى تؤكد أنها « تشاهد صورا » فى الراديو كذلك، فالأمر لا يقتصر فى المشاهدة على التلفزة !

والواقع أن الخيال الراديوفونى يرسم انطباعات لا تنمحى من الذاكرة لمدد طويلة • تفوق ما نراه بأعيننا (فى التلفزة مثلا) أو غيرها من الوسائل الأخرى ، مثل المسرح أو السينما •

فالكلمة المسموعة ، التى تدخل الآذان ، تعيش فينا « وتتنفس » وترن ذبذباتها فى العقل سنوات طوينة ·

المزيد من التفاصيل :

الموسيقى مرة أخرى :

تحدثنا ـ سابقا ـ حديثا عابرا عن الموسيقى واستخدامها فى الاذاعة ، وقد حان الوقت الآن لكى نتناول المسألة بقدر من التعمق ·

رغم أن المادة الخام « الأساسية » فى الاذاعة هى بالضرورة ، الكلمة ، الا أنه من المعروف أن الاذن الانسانية لا تستطيع أن تتحمل الاستماع باستمرار الى سيل متدفق من الكلمات لايصال المعانى الينا ·

لذا وجب أحيانا البحث عن عناصر أخرى·

ولكن قد يطرح السؤال التالى : اذا كان بالامكان نقل المعانى الى اذن المستمع الاذاعى ، فلماذا نتعب آنفسنا بالبحث عن عناصر آخرى ؟

طبعا هذه نقطة جدل لا تصمد كثيرا للمناقشة الجادة • فنحن نعلم تمام العلم أن المذيع آو المتحدث اذا لم يغير من « نغمات » صوته أصبح آداؤه رتيبا وحديثه مملا ممجوجا • وعلى أية حال فالكلمات البحتة سرعان ما تصبح على وتيرة واحدة ، خالية من المعنى •

الكلام بلا ايقاع ، ودون تناغم ، واذا انعدم النظم فيه ، وخلا من الترتيب الموسيقى ، ينزل « ميتا » على آذان المستمعين ، ويصبح مجرد •• كلمات •

فى كل البلدان (عربية وغير عربية) وجد القصاص الشعبى أو الحكاء الذى أدرك بالفطرة ضرورة وجود النغم الموسيقى فى الكلام ، فجعل كلامه الموزون ينساب انسيابا

جذابا على أنغام الربابة أو الآلة الموسيقية • التى يعزف عليها • وكان « آداؤه » الفطرى البديع يلقى استحسانا من السامعين ، ويرضى أسماعهم • أما ارضاء « السمع والعقل جميعا » فهذا أمر آخر وهو يتطلب ميزات فنية اضافية •

واذا لم يكن نصنا الاذاعى متحليا بالميزتين، أى ارضاء السمع والعقل ، فاننا لن نجذب ما ننشد من أعداد المستمعين • وهذا يعنى انه لابد من توافر العنصرين معا فى النص الاذاعى الناجح •

لكن هذا لا يعنى طبعا أننا لا نستطيع استخدام « الكلمة » وحدها فى الاذاعة • بل ان الكلمة فى الاذاعة هى دون أدنى شك أهم عنصر فى البناء الراديوفونى • وهى رغم ذلك تظل « عنصرا » فى التركيبة الاذاعية ، وهى كثيرا ما تحتاج الى « الدعم » • والدعم الأساسى للكلمة يأتى من الموسيقى • والموسيقى هى

أقوى مساعد فنى للكلام ، وخصوصا من الناحية العاطفية أو الانفعالية • وهذا راجع طبعا الى ما للموسيقى من تأثير ايقاعى •

وماذا عن الفواصل الموسيقية ؟

أصبح استخدام ما نسميه فى الاذاعة « بالفواصل الموسيقية » أمرا شائعا ، ويكاد يكون محل اجماع من الاذاعيين • الا أن سوء الاستخدام قد طغى على حسن استخدام هذه الفواصل ، بمعنى أنها أصبحت تستخدم كثيرا فى غير مواقعها الصحيحة • فما هى قواعد استخدامها ومتى وكيف تستخدم ؟

الأصل فى الفواصل الموسيقية الاذاعية ، أنها تعبر عن شىء ما فهى مثلا « تؤكد » حالة نفسية معينة ، أو لاظهار الفروق والتفاوت بين حالتين أو لاستكمال الايقاع •

والموسيقى ، تخضع فى هذا لنفس القوانين التى تخضع لها الكلمة المسموعة ، وهى قوانين

تمليها طبيعة الاذاعة كوسيلة من وسائل الاتصال والتعبير الصوتى •

وحينما نقرر استخدام الموسيقى بمصاحبة الكلام ، يجب الحذر آشد الحذر من عدم طغيانها على الصوت الانسانى وطمس نغماته •

ويجب آن تكون هناك « ضرورة » لاستخدام الموسيقى فى الاذاعة ، سواء كفواصل آو كمصاحبة للكلام • يجب آن تضيف بعدا جديدا وصحيحا من الناحية الفنية ، فى الموقع الذى تستخدم فيه • آما « تزيين » الكلام وتجميله بالموسيقى فأنا ضده على طول الخط ، وأرفضه تماما كما يرفضه غيرى من الاذاعيين • فليس أسهل من حشو النص الاذاعى بالموسيقى دون أى مبرر فنى • وآحب دائما آن آذكر الاذاعيين المبتدئين بأن الموسيقى كعنصر آساسى فى الاذاعة مطلوبة باستمرار ولكنها غير مسموح بها على اطلاقها •

وأحيانا تستخدم الموسيقى بدلا من الكلمات، لأنها يمكن أن « تقول » ان صح التعبير أشياء كثيرة في مساحة صغيرة أى انها تؤدى دورا ضروريا . وهذا هو معيار استخدامها . وفي الختام ، نقول في استخدام الموسيقى ما يلى :

استخدام موسيقى الفواصل فى الاذاعة ، يجب أن يكون من الأمور التى لا يمكن تلافيها بمعنى انه اذا لم نستخدم هذه الموسيقى بالذات، يكون هناك نقص فى النص . ويجب أن تكون أهمية الموسيقى فى مثل أهمية الكلام نفسه !

المواد الخام فى الاذاعة :

تحدثنا فى الفصول السابقة عن الصوت الانسانى وعن الموسيقى ، وهما عنصران مهمان من العناصر التى تكون البناء الاذاعى ، وبقى

أن نتحدث عن العنصر الثالث من هذه العناصر وهو : الصمت !

ولعل متسائلا يتساءل ــ عن حق ــ وما دور الصمت فى مجال الصوت أى المجال الاذاعى ؟

الواقع ان الصمت كوسيلة اذاعية « محسوبة » يعد من أقوى المنبهات للخيال . فهو ان أحسن اعداده ، وان وضع فى اللحظة المناسبة ، والسياق المناسب ، يمكن أن يكون أكثر تعبيرا من الكلمات الناطقة . فهو يمكن أن يكون مشحونا بالتوقع ، والتوجس والتخوف والفرح ، والشك . وأثناء الصمت ، تحدث الأمور «خفية» ، فى عقول المستمعين وخيالهم . ويجرنا « وميض » الصمت الى عالم آخر يتميز بمستوى مخالف لمستوى الكلام . والصمت بهذا يضيف بعدا جديدا يجذبنا معه الى أعماقه . وهكذا نحن نقول الكثير عن طريق .. الصمت!

والصمت أيضـا قد يؤدى فى الاذاعة دور الموسـيقى ودور الـكلمة • وهـو قد يستخدم كعنصر اذاعى للتعبير عن الـوقت ، أو لتأكيد ايقاع داخلى ، أو لابراز صورة شعرية •

وطبعـا للصـمت ، أحجـامه ومسـاحاته ومسافاته، وهى تقدر طبقا لاعتبارات عاطفية وايقاعية ونمطية • ونحن بهذا نساعد المستمع على التوصل الى تكوين تصوراته الخاصة •

والصمت كعنصر اذاعى يمـكن تفسـيره بطرق لا حصر لها ، والمعيار الوحيد يكمن فى كون الصمت عامل توجيه ، وليس عامل تحديد • أى انه يساعد المستمع على التخيل لكنه لا يحدد له الصور الخيالية •

والمواد الخام في الاذاعة يمكن أن تستخدم بطرق شتى • فنحن بامكاننـا أن نسـتخدم « الكلمة ، والموسـيقى ، والصمت » اما عـلى انفراد أو مخلوطة أو مركبة ، بل ان «تباديل»

هذه العناصر الثلاثة ، لا نهـاية لها • والعقل المبدع وراء هذا كله يجب أن يكون طلقا دائما وسـاعيا للبحث عن الجـديد باسـتمرار ، مع الاحتفاظ بالتوازن بين هذه العناصر الثلاثة ، حتى يؤدى كل منها دوره ، ويحقق الهدف منه ، كمجموع الآلات فى قطعة موسيقية •

ولأن هذه المواد الخام أو العناصر الاذاعية محدودة العدد ، يجب مراعاة الحرص الشـديد فى التعامل معها • وهى رغم محدوديتها ، قادرة على ايصال أدق المشاعر والأحاسيس والأنماط والأفكار الى المستمع ، اذا أحسن الاذاعى التعامل معها والمزج بينها فى وحـدة فنية • ورغم أنه لا توجد قواعد صارمة لذلك يمكن استخلاصها من التجربة ، الا أنه توجد باستمرار ـ وكما شرحنا سابقا ـ حقيقة بسيطة وهامة تتحـكم فى العمل الاذاعى بشكل عام وهى :

ان الصـوت الاذاعى ينبعث من الصمت ،

وتهتز موجاته فى الفضاء ثم ترتطم بالعقل لتعود الى حالة الصمت !

الكاتب الاذاعى :

«أريد أن أكتب للاذاعة ، فمن أين أبدا ؟»
نصيحتى لصاحب هذا السؤال الذى يرد علينا كثيرا هى :

الكاتب الاذاعى يجب أن تتوافر لديه الميزات التالية :

أن يكون ذا حس « سمعى » دقيق ، وأن يكون لديه « ما يقول » . وهو ليس فى حاجة لدراسة « فنيات » الاذاعة بالتفصيل . وشرط توافر « الحس السمعى » شرط مهم لأنه يتضمن جملة عناصر من أهمها الوضوح ، وهذا كما

أسلفنا أمر مهم جدا فى الاذاعة فهى آكثر وسائل الاعلام احتياجا للوضوح لأسباب جلية •

كما يتضمن هذا الشرط ادراك الكاتب انه يكتب «لأصوات» اذاعية تحت تصرفه ، بالاضافة الى العناصر الاذاعية الأخرى مع كل ما يتوافر فى المجال الاذاعى من تقنيات ومؤثرات صوتية •

والكاتب الاذاعى ، مطلوب منه آن يثير اهتمام المستمع منذ اللحظة الأولى ، ولا يمكنه بحال من الأحوال أن « يضيع وقت المستمع » الذى قد يمل ويغلق جهاز الراديو آو ينتقل الى محطة أخرى •

ويجب آن يشتمل كل نص اذاعى على عنصر التوقع آو انتظار مفاجأة ما ، تشد « انتباه المستمع ، آو طرح التساؤل الذى لابد من الاجابة عليه فيما بعد اذا آراد الكاتب الاحتفاظ باهتمام المستمع • هذه هى ضرورات الكتابة لعالم الصوت ، الكتابة للسماع وليس للقراءة •

الاذاعة ووسائل الاعلام الأخرى :

الاذاعة ، لا تزال ، بعد مرور ما يزيد على نصف قرن من بدايتها ، وسيلة كل الناس للحصول على المعلومات : الأخبار والثقافة والترفيه بصورة مباشرة وسريعة ولا ينافسها فى ذلك أى وسيلة أخرى سواء أكانت التلفزة أو غيرها • فهى اذا تخاطب كل الناس وكل الأذواق فى كل وقت •

والمرء بامكانه أن يتساءل : هل نجحت الاذاعة فى ذلك أم لا ؟ وهل نزلت كثيرا فى مستوياتها ؟ أم تعالت على مستويات الجماهير ؟ لك أن تناصر هذا الرأى أو ذاك ، ولعلك كونت لك رأيا بالفعل حول هذا الموضوع •

لعلنا نتفق حول نقطة واحدة : وهى أن كثيرا من مواد الاذاعة أصبحت حشوا للوقت

الاذاعى ، وسدا لفراغ يجب شغله بأى ثمن ·
ومع ذلك فجماهير الاذاعة لا تتناقص ، ان لم تكن
فى ازدياد فما سر هــذا الاقبال المتزايد عــلى
« الصندوق السحرى » ؟

الواقع أن الاذاعة أصبحت واجهــة مهمــة
للحضارة ، وهى قادرة باستمرار على البقــاء ،
لأنهـــا تســـتطيع تزويدنا بما لا تســـتطيعه
الوســائل الأخــرى وبالذات التليفزيون · اذا
فسرعتهــا واقتصــادها يلعبان دورا مهما فى
بقائها ونجاحها · فهى قد اهتدت الى مكمن قوتها
واعتمدت عليه ·

فمن الأمور المسلم بها الآن ، ان الجهة التى
تحتكر الســيطرة عــلى الاذاعة بالذات من بين
وسائل الاعلام الأخــرى ، تســتطيع أن تؤثر
تأثيرا حاسما على الرأى العام · فأى حكومة مثلا
تستطيع اذا احتكرت حق البث الاذاعى وبمجرد
الترديد والتكرار اليوميين وعن طريق استبعاد

وجهات النظر المعارضة ، ان تحدد آراء الناس وتشكل لهم هذه الآراء . فمن السهل نفوذ هذا التأثير الاحتكارى الى عقول الناس رغم انه من غير المعروف كيف يعمل هذا التأثير بالضبط ، لكنه تأثير فعال على أية حال .

والناس في تأثرهم بما تردده الاذاعات كأنهم يسيرون أثناء نومهم وراء ذلك الصندوق المسحور ، يرقصون على طبوله ويحيون داخله .

ان قوة الراديو وتأثيره السحرى على الناس يتجليان بوضوح فيمن يحمل جهاز الترانزستور ليعيش فى عالمه المنفردوسط زحام الجماهير ، كما قال « بيرتولد بريخت » عملاق المسرح الألمانى ، فى وصف « الصندوق السحرى » بهذه الأبيات البسيطةالمعبرة :

« أيها الصندوق الصغير الذى التصق به حينما أهرب ..

حتى لاتنطفىء شمعاتك ..

أحملك من المنزل الى السفينة ، ومن السفينة الى القطار ..

حتى يستمر أعدائي في التحدث الى ...

قرب سريرى ، عن آلامى .

آخر شيء بالليل ، وأول شيء بالنهار .

يتحدثون عن انتصاراتهم .. وعن همومى

عدني ألا تصمت .. فجأة .

لا شك ان التلفزة أصبحت من أهم الوسائل الاعلامية ، حتى ان التليفزيون بدأ يهدد الراديو بالخطر في أول ظهوره ، ولكن سرعان ما استطاعت الاذاعة التغلب على « الهزة » الأولى التى تعرضت لها بفعل ظهور التليفزيون وانتشاره السريع . وكان تغلب الاذاعة على أثر التليفزيون واضحا حينما تمكنت الاذاعة من الانتقال من مجال الترفيه الى مجال الاعلام .

وبهذا أصبحت الاذاعة شبكة اعلامية تقدم

نشرات الأخبار والنشرات الجوية ، وآخبار المال والأعمال وتحركات البورصة . وأصبحت الاذاعة مجالا حيويا للاخبار «الساخنة» وأصبح الخبر « باردا » اذا انتقل الى التلفزة .

الاذاعة تؤثر على معظم الناس تأثيرا شخصيا خاصا ، ينتقل من شخص الى شخص ، ويقدم له عالما من الاتصال بين الاذاعى والمستمع . وهذه تجربة شخصية لها تأثيرها المباشر الذى ينبع من طبيعة هذه الوسيلة من وسائل الاتصال الانسانى وقدرتها على تحويل كل شيء الى غرفة صدى . والكاتب الاذاعى الناجح هو الذى يستطيع استخدام هذا البعد الصوتى الهام من آبعاد الاذاعة . ونحن نقول ان هذا الاستخدام الاذاعى آثر تآثيرا مباشرا على توجيه الحضارة الانسانية فى النصف الأخير من القرن العشرين .

من منا يستطيع آن ينكر مدى تآثير الاذاعة على قرى العالم ومن يعيشون فيها ، ومن منا

ينكر ان الاذاعة ترديد صوتى مستمر وعنيف • انها انفجار ضمنى !

الاذاعة بالنسبة لكثير من بلداننا قوة هائلة ، وهى رباط زمنى مع الماضى البعيد والتجارب التى نسيت منذ عهود سحيقة •

هل يتخيل أحد منا أنه محصن ضد القوى السحرية للاصوات المتصاعدة من غرف الصدى؟

الواقع ان هذه القوى تمس أحبالا عفى عليها الزمن لتشكل صورا جديدة للتجربة الانسانية • نحن جميعا نتعرض لنفس التأثيرات، ونستمع الى نفس الأغانى ، ونشترى من نفس « الأسواق » •

الأذن شديدة الحساسية بينما العين « محايدة » ، فالأذن ـ كما قال الشاعر ـ تعشق قبل العين • فأنت اذا جلست فى غرفة مظلمة وشرعت فى الحديث ، ستجد أن الكلمات تكتسب فجأة معان جديدة ، ونسيجا مختلفا •

وستصبح أشد ثراء ، وهو الثراء الذى تكتسبه من « الظـلام » حينمـا لا ترى العين وتتعطل الرؤية . وتشتد حساسية الأذن فجأة ٠

هذا ، بالضبط ، ما يحدث للمستمع وقت سماع الراديو ٠ فهو حينما يستمع الى «أصوات» الرواية الاذاعية مثلا ، سـيتعين عليه أن يملأ كل فراغات المنـاظر أو المســامع الراديوفونية وهو يفعل ذلك بخياله وحده ودون معونة أحد، مما يشعره بالاستقلالية والاعتماد على النفس ٠ ان هذا الحجاب الصوتى الحاجز ، يعزل المستمع عن بقية العالم ، ويقدم له عالمـا خاصـا به ، لا يقلقه أو يزعجه أحد فيه ٠ لـكن الاذاعة لم تقتصر على كونها صندوقا للموسيقى فى المنزل، بل تعدت ذلك فأصبحت وسيلة جـديدة ومهمة من وسائل الاتصال الانســانى السريع ونقـل المعلومات والتأثير فيهـا مع الاسراع فى نقـل المعلومات بوسائل الاعلام الأخرى ، اذ انتقـل

أثر الراديو الى الصحافة والتلفزة وحدثت تغييرات واسعة في الصحافة والاعلان والمسرح والأدب وتقلص حجم العالم بفضل سرعة الاتصال حتى أصبح فى حجم القرية !

ومن أفضال الاذاعة فى هذا المجال أنها عملت على احياء التراث القديم واللغات واللهجات التى كادت أن تندثر الا فيما يدور بها من حديث بين الأقليات ، كما يحدث فى شبه القارة الهندية وغيرها ، فقد أنشأت تلك الأقليات ، اذاعات لها تذيع بلغاتها ولهجاتها بل ان لغات كادت أن تندثر مثل الاسبرانتو تذاع حاليا برامج بها من اذاعة سويسرا العالمية التى تذيع كذلك برامج بلغة الرومانش وهى لغة فى سويسرا تعتبر اللغة القومية الرابعة رغم ان نسبة المتحدثين بها لا تزيد على واحد فى المائة فقط من سكان سويسرا !

ومن هنا يقال ان الأجيال الحديثة ولدت وأمام أفواهها الميكروفون -

مما لا شك فيه أن الراديو يعتبر من أهم انجازات القرن العشرين ، فقـد قطع خطوات هائلة مـع التليفزيون والسـينما والصـحافة بمستواها الحالى وتطورت كل هذه الوسائل فى النصف الأخير من القرن الحالى تطورا سريعـا ومذهلا مما أثر فى حياتنا وسلوكنا وحضارتنا تأثيرا بالغا . لقد أصبحت الاذاعة أهم وأعظم من تركها لمجرد الترفيه والتسلية . وهى حينما نقلت اهتمامها من الترفيـه الى الاعلام حققت نصرا حاسما على التليفزيون ، وأصبحت تقـدم خدمات سريعة باذاعة نشرات الأخبار والرياضة والطقس بالاضافة الى الاستخدامات الأخرى فى الجو والفضاء والبر والبحر .

ماذا يريد الجمهور من الاذاعة ؟

فى كل اذاعة توجد ادارة خاصـة لبحوث المستمعين ، مهمتها تحليل رغبـات المسـتمعين

وانتقاداتهم وأسـئلتهم وكلما يبعثـون به فى خطاباتهم وغيرها ، للاسـتعانة بها فى تصميم البرامج الاذاعية وتلبية رغبات المستمعين ، رغم أن هذا لا يمنع من تعالى شكاوى المستمعين دائما من أحدا لا يأخذ رغباتهم بعين الاعتبار ٠

ولكن السؤال المطروح باستمرار هو : هل يعرف المستمع فعلا ماذا يريد ، وما هى رغبته الحقيقية ؟ ماذا يحتاج المستمع ؟ هل هو المزيد من الترفيهيات والمواد الخفيفة أو المسلية ؟ أم هو غير ذلك ؟ اننـا لا نفتأ نتسلم رسـائل فى محطات الاذاعة العالمية من مستمعين يطالبـون بزيادة المواد الترفيهية مع التقليـل من المـواد الاخبـارية والتعليقات والتقـارير وغيرها من المواد الاعلامية ، فهل هـذا حقـا ما يجب أن يكون عليه دور هذه الاذاعات العالمية أو الموجهة الى جمهور خاص ؟

ان هذه الاذاعات بحـكم طبيعة وجـودها

نفسه ، لابد أن تكون بمثابة قنــوات اذاعيــة موازية للقنوات القومية أو المحلية خاصــة اذا كانت تلك الأخيرة خاضعة لاحتــكار الدولة أو الاشراف الحكومى مع ما يتضمنه ذلك من فرض توجيهات معينة ورقابة على تلك الاذاعات ٠

ولــكن كيف يمكن للمشرفين عــلى تصميم البرامج الاذاعيـــة أن يحــكموا عــلى أذواق المستمعين ؟ من يضع القواعد لما يجب أن يذاع؟ من يحدد ذلك ؟

من السهل على المنتقدين أن يقولوا انه من واجب الاذاعة أن تلبى مطالب الجمهور الاذاعية فهــو قبــل كل شىء الذى يدفع ثمن الخــدمات الاذاعية فى صورة رخصة الاذاعة والتلفزة ٠

الواقع ان الجمهور يعرف ماذا يريد اذا كان الأمر يتعلق بالترفيه الذى يقدمه فنان ما ، أما اذا كان الأمر متعلقــا بالاعلام وسياســاته فان

الآراء تتفاوت جدا وتتباين وتختلف كثيرا ، لذا كان لابد في مرحلة من المراحل أن يقرر شخص ما ، ماذا يجب أن يقدم للمستمع ، ومتى وكيف ·

ومع ذلك يجب أخذ النتائج التى تتوصل اليها ادارات بحوث المستمعين في الاذاعات بعين الاعتبار ، لأن ما قلناه سابقا لا يعني على الاطلاق اننا يجب أن تقرر فى القمة وحدنا دون النظر الى رغبات المستمعين ، ماذا يجب أن « يذاع » بل يجب أن نقارن بين هذه الرغبات وبين اعتبارات أخرى كثيرة · حتى ان القرار حينما يتخذ فى النهاية يكون متسما بالمسئولية ، ويكون دافعه الوحيد مصلحة الجمهور ومصلحة الخدمة الاذاعية العامة ·

الطريق الذى يؤدى الى التعرف على رغبات المستمع هو دراسة رسائل المستمعين التى تتسلمها الاذاعات بالاضافة الى انشاء لجان

الاستماع ودراسة تقاريرها جيدا ، مع التوجه الى عين المكان حيث تتجمع أعـداد مهمـة من المستمعين لاستجوابهم والتعرف على أسـباب تفضيلهم لهـذا البرنامج أو ذاك أو رفضـهم لبرنامج آخر .

وعن تشكيل لجان الاستماع ، فهى عادة تشكل من عديد من المستمعين المتطوعين للاجابة على أسئلة عامة توضع لهم حول البرامج . ومن هذه اللجان يمكن التعرف على اهتمامات الجمهور ليس فقط بمحتوى البرامج وبطريقة تقديمها، ولكن أيضا بمواعيد تقديم البرامج من النهـار أو الليل أو من حيث الفصل المناسب من السنة .

وقد يجد المرء صعوبة فى تصديق ما كشفت عنه تحليلات رغبات المستمعين من أن الكثيرين من مستمعى البرامج الاذاعية يحبـون أحيـانا الاستماع اليها وهم منشغلون بعمـل آخـر ، سواء كان قراءة جريدة أو كتـاب أو تحضـير

رسم أو عمل فى المطبخ أو غير ذلك • وقد اعترفت أعداد كبيرة من المستمعين المتطوعين لدى استجوابهم ، بهذه الحقيقة •

كما كشف تحليل رغبات المستمعين أن معظم الاستماع يتم عشوائيا دون أى تخطيط أو تنظيم • هذا بالاضافة الى أن معظم ما يسمع ينسى فور الانتهاء من سماعه !

علينا أن ندرك كل هذه الحقائق تماما لدى تخطيط البرامج الاذاعية ، ويجب أن نعرف مثلا أن ذاكرة المستمع عادة ما تكون ضعيفة فلا يستطيع أن يخبرك بما سمع فى اليوم السابق ، أما اذا أعجبه البرنامج فقد يتذكر بعض محتوى البرنامج المفضل لديه •

والغريب أن بحوث المستمعين كشفت كذلك ان هذا المسلك من المستمع يكاد يكون اجماعيا بين المستمعين للبرامج الاذاعية •

هل الاذاعة من عوامل افساد الذوق العام ؟

التكرار فى الاذاعة أمر لا يمكن تجنبه ، وهذا من الأمور الواضحة ، لكنه يعرض الراديو لنفس التهمة التي يتعرض لها الأدب «الرخيص» وتتعرض لها صحافة « الاثارة » وأفلام السينما « الهابطة » . أما التهمة فهى توحيد الذوق العام ومن ثم افساده تدريجيا .

لا شك أن جمهور الثلث الأخير من القرن العشرين متخم اذاعيا لدرجة لم تعرف من قبل ، فبحركة بسيطة من الأصابع على جهاز الراديو، يستطيع المرء الاستماع الى عشرات الأحاديث والقطع الموسيقية والقصص والروايات الاذاعية وغير ذلك مما تبثه يوميا مئات عديدة من المحطات الاذاعية ، حتى أصبح الأمر الذى كنا

نعتبره فيما مضى حدثا فى حياتنا آمرا عاديا وذلك عن طريق التعود الرتيب •

هذه هى المشكلة التى تواجهها الاذاعة فلقد أصبح كل شخص ـ بسبب الانتشار الاذاعى الكبير ـ يمتلك جهازا للراديو ويستخدمه ، وهكذا يتمكن كل شخص تقريبا من متابعة الأحداث الجارية ، وأحداث عوالم الفن والفكر والعلم متابعة مباشرة عن طريق الاستماع الى الراديو رغم محدودية صيغ البرامج الاذاعية المتاحة • من هنا نقول اننا نشهد ثورة حقيقية فى عالم الاتصالات رغم ان عمرها الحقيقى لا يزيد على خمسين عاما فقط ، لكنها أصبحت شاملة تماما •

ونجم عن ذلك ان الاذاعة آصبحت تواجه ضرورة تلبية مطالب واحتياجات فئات عديدة من أقسام المجتمع المختلفة التى تتفاوت حسب الأعمار والمهن والمستويات الاجتماعية ودرجات

التعليم والثقافة · فنحن يجب أن نفكر مثلا فى احتياجات طلبة المدارس وربات البيوت وهما قسمان فى حاجة الى خدمات اذاعية خاصة أثناء النهار · وهناك أيضا احتياجات المسنين والمقعدين والمرضى الذين يعتمد معظمهم اعتمادا كبيرا على الخدمات الاذاعية الخاصة · ولا ننسى الخدمات الريفية الهامة التى تقدمها كل اذاعة الآن الى جماهيرها فى الأرياف ، وكذلك خدمات المدن الكبرى التى تخاطب فئات من المستمعين محددة ومعينة ·

هل يسفر ذلك عن ملل يصيب المستمع من الاذاعة ؟ وهل يعنى هذا أن البرامج الاذاعية هى فى النهاية واحدة ؟

البعض يقول ذلك ، ويرى أفكار البرامج الاذاعية تتكرر بمرور الزمن حتى الملل القاتل·

ولكن ذلك قد يرجع ـ ان صح ـ الى تسلط الروتينية على عقول بعض الاداريين والمخرجين

والمشرفين على وضع وتخطيط البرامج الاذاعية ٠
وربما يكون الحل فى تقنين البرامج الاذاعيـة
وليس فى الاكثار منهـا ، مع اشراك المسـتمع
مباشرة فى تحديد المطالب الاذاعية بحيث تجهز
الاذاعة البرامج الاذاعية حسب طلب المسـتمع
وليس حسـب رغبـات الاداريين والمشـرفين
الاذاعيين على الأقل فيما يتعلق ببعض نوعيـات
معينة من البرامج ٠

ومع ذلك فأنا أرى أن الاتهام المـوجه الى
الاذاعات بأنها تفسد الذوق العـام عن طريق
تكرار البرامج فيه شىء من الاجحاف رغم ما قد
يكون فيه من بعض الصحة ٠

ويمكن القول بصفة عامة أن مستمع الراديو
بصفة عامة هو هذه الأيام أفضل اعلاما من غيره
الذى لم يكن لديه جهـاز للراديو فى المـاضى ٠
فالمستمع هذه الأيام يلتقط ـ بفضل الراديو ـ
شيئا من الأخبار وبعضا من التعليقات العـامة

وما تقدمه مجموعات البرامج العـامة رغم أنه قد يرفض الجزء الأعظم منها • وهنا قد يدافع البعض عن فكرة بث البرامج الموسيقية والخفيفة من الفجر وحتى منتصف الليل على نفس القناة أو المحطة التى تسعد مستمعيها بهذا النمط من البرمجة « المضمونة » النتائج •

على أى حال أنا لا أعتقد ان الاذاعة أسهمت فى « زيادة » افساد الذوق العام منذ انتشارها هذا الانتشار الهائل • انها ليست مسئولة عن « الزيادة » فى الافساد ، فمن كانـوا يفضلون الترفيه والتسلية الخفيفة قبل اختراع الاذاعة لا يزالون يفضلونها حتى الآن وبعـد اختراع الاذاعة • وكل ما فعلته الاذاعة هو المسـاهمة فى الوفرة ، فهى قد وفرت الكثير من البرامج الجيدة كما وفرت الكثير من البرامج المتواضعة • فالاذاعة هى الوفرة •

لكن الاستماع المركز من أجل الاسـتيعاب الدقيق لا يتم الا بالاعداد له ، فأنت يمكنك أن

تسمع أغنية لأم كلثوم أو عبدالوهاب أو لاحدى السيمفونيات بينما تقرأ كتابا لكن « نوعية » الاستماع ستكون منخفضة ولا شك وهذا أقل ما يقال ، ان لم نقل ان الكتاب سيسقط من بين يديك دون أن تقرأ ولا تسمع ٠

عيوب الراديو :

من أشد عيوب الراديو أنه كما قلنا سابقا يجعل التجارب المثيرة فى حياة الانسان العقلية والثقافية عادية ومملة بحكم التكرار ــ وقد يثبت فى النهاية أن هذه هى أشد عيوب الراديو بالفعل ٠ وكذلك من العيوب الأخرى ما تحدثنا عنه من اتهامات للاذاعة بافساد الذوق العام عن طريق توحيد هذا الذوق أو تنميطه كما يقال ثم افساده ، حتى ان بعض الكتاب الاذاعيين الذين يعرفون جيدا أن ما يكتبونه للاذاعة ينسى

فور سـماعه يسـتمرون فى تقـديم انتـاجهم للاذاعات بل آصبحوا يعـدون مـواد برامجهم بحيث تنسى بأسرع ما يمكن حتى يمكن لهم أن يعيدوا ما كتبوا سابقا ويكرروه مرات ومرات فى صورة « برامج جـديدة » . وطبعا تكـون النتيجة رضاء الأذواق المتواضعة .

أثبتت الاحصـائيات ان كثيرا من ربات البيوت وسائقى التاكسى والمسنين ومن يعانون من الوحدة ، يتركون جهاز الراديو « مفتوحا » يعمل طيلة ساعات وجودهم بالمكان لكى يسمعوا صوته فقط بصرف النظر عما يذاع منـه حتى يزيل عنهم الشعور بالوحدة والوحشة رغم آنهم لا ينصتون لما يذاع . ولهـذا نحن نقـول فى الاذاعات ان زيادة عدد « المستمعين » لا تعنى زيادة عدد « المنصتين » باهتمام .

وهنـا نخص بالذكر هـواة الاستماع الى المسلسلات ، فيجب أن نسـتثنى من يتـابعون المسلسلات من هذا التعميم لأنهم بالفعل يتابعونها

« حلقة بحلقة » لأن فيها عنصر التشويق ، الذى يجبر المستمع المولع على المتــابعة • وهؤلاء هم فى الواقع الوحيدون الذين تمكنت الاذاعة من ايجاد دافع لهم لكى يستمعوا اليها ، وهم بأعداد كبيرة تكفى لاســتمرار فكــرة « المسلســلات الاذاعية » •

مزايا الراديو :

رغم كل ما ذكرنا من « عيوب » الراديو ، تكشف الاحصــائيات عن رضى المستمعين بصفة عامة عما تقدمه لهم الاذاعات من مواد • بل ان كثيرا من المتعــلمين والمثقفين والجــامعيين لا يشــتكون من ضــعف البرامج الاذاعيــة ولا ينتقدونها حتى ان الغالبية تقول انالبرامج الاذاعية عموما جيدة !

وترتيب تفضيل النــاس لفقرات البرنامج

تكون عادة : الأخبار فى المقام الأول ، تليهـا الموسيقى ثم الترفيهات بعد ذلك • ولعل هـذا الرضى راجع الى ان الاذاعة آعطت للفرد شعورا بفرديته وسط المجتمعات المدنيـة الكبرى التى تذيب الفرد حتى يصبح لا شىء ويعانى وحده من مخاوفه ، ويواجه احباطاته •

الاذاعة تذهب الى كل مكان وهى « آسهل » من القراءة مثلا ، وهذه ميزتها عـلى الكلمـة المطبوعة لسهولة وصولها ، لذا فجمهورها آكبر بكثير من آى جمهور آخر سـواء كان جمهـور المسرح آو جمهـور السـينما آو الكتـاب آو الصحيفة آو حتى التليفزيون •

اذا قارنا بين الاذاعة والتليفزيون والصحف كوسـيلة لنشر الخبر ، لتبوآت الاذاعة المقـام الأول على الفور ودون آى منازع ، فهى أسرع من غيرها ولا تكلف شيئا على المدى الطويل •

ولا ننسى ان المستمع يمكنه الانشغال بأشياء

أخرى وقت الاستماع الى الاذاعة اذ هى لا تتطلب سوى الحد الأدنى من الجهد العقلى بالاضافة الى كونها شخصية التأثير ٠

وبصفة عامة لا يبدو ان الاذاعة أعاقت الناس عن القراءة بل انها يحتمل آن تكون قد تسببت فى زيادة القراءة فى بعض النواحى ٠ والتغيير الذى آحدثته الاذاعة فى حياة الناس يمكن استشفافه فى مسلكهم وعاداتهم وليس فى تطلعاتهم الثقافية ٠

ومن ناحية أخرى يجب آن نعترف ان الصحف تكون عادة آكثر امتلاء بالأخبار وهى تستهدف اهتمام الاقليات ويمكن التحكم فى اختيار وقت قراءتها آو العودة الى النص مرة أخرى آو تخطى بعض السطور آو الصفحات التى لا يريد القارىء آن يقرآها ٠ كما آنها تستخدم الصور والرسوم فى شرح بعض مقاصدها ٠ ومع ذلك فالناس « يستسهلون » الاذاعة ٠

ومن مشاكل الاذاعة :

من بين آهم المشاكل التى تواجه المشرفين على البرامج الاذاعية ، مسألة حرية التعبير • ويجب أن آسرع بالقول فورا ان تلك الحرية كانت وستظل نسبية • فلابد لها باستمرار من حدود تحدها وتحميها من الشطط رغم آن تلك الحدود ليست بالضرورة الحدود التى تضعها بعض الحكومات آحيانا و « الرقيب » آحيانا أخرى ، وجماعات الضغط من كل جانب وهى موجودة فى كل مجتمع تقريبا •

اننا نقول باستمرار بوجوب خضوع كل نقاط الجدل للنقاش لكن هذا قد لا يكون ميسورا باستمرار برغم آن النقاش المطول يكشف الأخطاء وبالتالى يتيح لنا ازالتها • ومن ناحية أخرى فان القمع والكبت يولدان الاستمرار فى ارتكاب الأخطاء وتطورها نموها •

لهذا كله ، يجب أن ترتبط الاذاعة بحرية التعبير ، وأن يكون الاذاعيون رقباء من أنفسهم على أنفسهم حتى يمكن الاحتفاظ بالتوازن العام لما يقال أمام الميكروفون مع البعد عن الاسفاف لأن هذا ليس من الحرية فى شىء ٠

وأفضل السياسات الاذاعية تلك التى تدعو الى الموضوعية فى الشئون التحريرية المتعلقة بما يمس الرأى العام ٠ سواء أكانت الاذاعة من احتكارات الدولة أم لا ٠

الجوهر الديموقراطى العام هو اتخاذ القرار بعد سماع كافة الأطراف ٠

والموضوعية يجب أن تبرز خاصة فى مجال الأخبار لأن الاخبار من أى محطة اذاعية سريعة الانتشار فهى تسمع فى قطاعات واسعة من المجتمع ، ويتضح هذا على الأخص فى الاذاعات العالمية أو الموجهة حيث يجب باستمرار احترام صحة الأخبار وسلامتها ، مع مجانبة التحيز فى

تقديم نشرات الأخبار لأن المصداقية هنـا أمر لا غنى عنه ٠

وهذه الموضوعية فى تقـديم الأخبـار من الاذاعات العالمية ، يكون لها أثرها ولا شك على تقديم الأخبار من الاذاعات المحلية ٠

ان ما يعانيه الفرد العادى فى أنحاء العالم هذه الأيام من همـوم ومشـاغل عديدة تجعله متعطشا لسماع الأخبار « الصحيحة » ، ومشتاقا الى معرفة « الحقيقـة » ، ولو بعض الحقيقة ، وليس بالضرورة كل الحقيقة ، « وهذا أضعف الايمان » ٠

الخطر كل الخطر فى أن يشعر المستمع فى بلد ما ان وسـائل الاعلام فى بلده وخاصـة الاذاعة لا تعطيه الحقيقة ، لأنه فى هذه الحالة لن يكون أمامه سوى بديل واحد ، وهو اللجوء الى الاذاعات الأخرى ٠ واذا كثر لجوء المستمع الى اذاعات الخارج واشتد اعتماده عليهـا فى استقاء الأخبار فقد تدريجيا الثقة فى وسـائل

الاعلام المحلية ، ونحن نعرف مدى خطورة هذا الأمر ٠

لهـذا السـبب فانه من مصلحة الاذاعات المحلية ـ في الواقع ـ أن تقدم لمستمعيها بعض الحقيقة مع محاولة الاقتراب من الحقيقة لـكى تغرى مستمعيها على الاستماع اليها ٠

الاذاعة والثقافة :

فيما يتعلق بالحيـاة الثقافيـة للمجتمع ، مسئولية الاذاعة كبيرة حقا ، اذ يتعين عليهـا الارتقاء بالذوق العـام مع عدم اغفال تقـديم ما يعتقد المستمع انه يريده ٠

ولتحقيق هـذا التـوازن لابد من اتبـاع العناية الشديدة أثناء تخطيط البرنامج ، فكل برنامج اذاعى يجب أن يتقدم المستمع ويسبقه ،

بخطوات ولكن ليس كثيرا والا اتسعت الهوة بينه وبين الاذاعة ·

« يجب « قيادة » المستمع من الحسن الى الأحسن ويكون ذلك عن طريق اثارة فضوله وشغل عقله وملء قلبه · فالاذاعة تعكس باستمرار التغيرات التى تطرأ على الرأى العام · تتكهن بها ثم تستجيب لها · ومن هنا تكون قوة الاذاعة ، وهى قوة « هائلة » ، وهى أيضا احدى مشاكل الاذاعة لأنها قوية ومسئولة ·

الاذاعة ليست وسيلة للفكر ولا للثقافة ولا للحياة ولكنها وجدت لتخدم الفكر والثقافة والحياة ·

الاذاعة لا تفكر للناس :

لعل أفضل انجازات الاذاعة هى فى ميدان التعليم · فقد حققت نجاحا مهما فى هذا الميدان

رغم الشكوك التى أحاطت بفكرة استخدام الاذاعة فى المدارس فى بادىء الأمر ٠

تطورت وسائل فنية لتقديم المعلومات لطلبة المدارس ٠ فبدلا من الأحاديث المباشرة مثلا أمكن تقديم المعلومات للطلبة بصور درامية مشوقة ٠

كما أمكن تدريب المدرسين أنفسهم حتى يتمكنوا من تطوير أفكار البرامج المدرسية ٠

فبعد توضيح الفكرة يتم اختيار أنسب الصور الاذاعية «لحمل» الفكرة الى الطالب ٠ وان وجد الكاتب الاذاعى القادر على انجاز ذلك كان أفضل ، والا فاللجوء الى المدرسين أنفسهم ، بعد تدريبهم بطبيعة الحال ٠ والبرامج التعليمية تمكن المعلمين من توسيع مدى العمل فى الفصل الدراسى الى اتجاهات عديدة ٠ وباستطاعة التلاميذ أن يستمعوا الى أصوات مشاهير الكتاب والفنانين والشخصيات العامة المعروفة والخبراء

فى مجالات الاتصالات • ويمكن آن يقدم الأداء الاذاعى الرفيع من الاستوديوهات لآلاف الطلبة بالفصول المتعددة دفعة واحدة وفى نفس الوقت سواء فى الموسيقى آو التاريخ آو الآداب آو اللغات والعلوم وغيرها •

والغرض من هذا هو استخدام وسيلة الاذاعة لتوسيع مجالات التعليم التى يتعين على المدرس تقديمها لتلاميذه • الا آنه من المعروف أن الاذاعة لا يمكن آن تصبح بديلا للمعلم فالمعلم هو المشرف على الفصل الدراسى ، لكنه قد يستخدم الكتاب آو مكبر الصوت •

والواقع آن التجارب آثبتت آن الكلمة المسموعة آسهل استيعابا بالنسبة للطفل من الكلمة المقروءة اذا آردنا ايصال الحقائق والأفكار • ولكن ثمة حدودا طبعا حتى بالنسبة الى آكثر الطلبة استعدادا للتعلم • ولهذا تستخدم سبل فنية مختلفة لايصال المعلومات الصعبة الى

عقل التلميذ • كما يجب أن تعتمد البرامج الاذاعية التعليمية على اثارة خيال التلميذ ومساعدته على تشكيل الصور العقلية فى دماغه بالاستخدام الصحيح للسبل الفنية لجعل هذه الصور تنمو فى الخيال •

الشخصية الراديوفونية :

ان تحليلا أوليا لسيكولوجية الاستماع ينبؤنا أن من يستمعون الينا فى منازلهم يكونون فى حالة نفسية معينة ، لأنهم أزالوا أقنعة السلوك الاجتماعى التى يضعونها عادة حينما يكونون بين الناس • ولابد أن يكون مستمعونا كذلك متفاوتين فى حظوظ التعليم والثقافة تفاوتا كبيرا ، ثم لابد أن نفترض أن معظمهم لم يجاوز عمره العقلى ١٥ عاما تقريبا وذلك حينما يواجه مشكلة خارج نطاق مهنته أو عمله •

أما من جاوز ذلك الى التعليم الثانوى فهم قلة ، والتعليم الجامعى فهم ندرة ٠

توصلت الاذاعة ــ من دراسة سيكولوجية الاستماع على مر سنوات الاذاعة الخمسين ــ الى نتائج مهمة تساعدنا فى تخطيط البرامج على أفضل الأسس الممكنة ٠

لقدوجدنا مثلا آن معظم المستمعين يتركون جهاز الراديو مفتوحا ولا يميلون لغلقه آبدا لأنه يصدر « أصواتا » تؤنسهم ، وهى أصوات تكون فى آغلب الحالات ودية بالاضافة الى بعض « اخلاط » من الموسيقى وما يقطعها آحيانا من كلام وحديث ٠ آما من « يفتحون » الراديو للاستماع الجاد المركز فقد أثبتت الدراسات أنهم قلة قليلة ٠

ربة البيت وحدها فى المنزل ، بينما الزوج يعمل والأولاد فى المدرسة ، والقرويون المنعزلون فى قراهم، والبحارة فى سفنهم بعرض

البحار .. كل هؤلاء « يأنسون » للأصوات الصادرة عن الراديو رغم انهم لا ينصتون اليها لا أحيانا . لعادة الاستماع العشوائى دون تمييز مزاياها كما أن لها عيوبها . فمن مزاياها أن مجرد ادارة قرص الراديو تجلب لك دون أدنى جهد ، الموسيقى والكلام بمجرد لمس الزر .

ومن عيوبها أن المستمع يتعود على الاستماع بلا انتباه . هذا بينما يتساءل الاذاعيون : « كيف يمكن لنا الاحتفاظ بانتباه المستمع ؟ » وهذا الانتباه لابد من أسره والامساك به . هذا ما يشغل المخرجين الاذاعيين والكتاب والمشرفين على تنسيق البرامج ووضع خططها . ولكى تستحوذ البرامج الاذاعية على اهتمام وانتباه المستمع . يجب أن تكون مشوقة لما فيها من أصالة وجدة مع الاعتماد على « الصوت الانسانى » ، الذى أكسبه الراديو أهمية لم تكن معروفة من قبل . فالكلام هو من أروع صور التعبير الانسانى ، وبه يمكن للانسان أن ينقل

شعوره وعواطفه للآخرين ، وبه أيضا يمكنه أن يصدر أوامره للناس بعمل شيء ما ، وبه أيضا يوصل اليهم الأخبار • وهنا لا يستطيع المتحدث الاعتماد على الصوت الانساني فقط دون حركات اليد والوجه كما نفعل عادة حينما نواجه بعضنا البعض • ومن طريف المعلومات فى هذا الصدد ما يقال عن بعض القبائل البدائية وكيف انه كان يتعين على أفرادها اشعال النار ليلا ليفهموا بعضهم البعض • وهكذا كان الانسان البدائى يستخدم « الاشارة » لتوضيح أفكاره •

والمستمع دائما يتخيل شخصية المذيع أو المتحدث الذى يقدم المادة الاذاعية ، لأنه «لابد» من تصور انسان يتماشى وهذا الصوت الصادر من « صندوق » الراديو •

أما كون هذه « الصورة » تطابق الواقع أولا ، فهذا أمر آخر • فليس من الضرورى أن

تطابق الصورة التى يرسمها المستمع فى خياله لصاحب الصوت الاذاعى ، الواقع • ومن المعروف أننا كثيرا ما نتأثر بشخص نتحدث اليه ونراه لكنه غير قادر على نقل هذا التأثير بالصوت وحده •

أما هؤلاء القادرون على التعبير باستخدام الصوت الانسانى وحده ، أى من يملكون « الصوت الراديوفونى » فان الميكروفون ييسر لهم قوة هائلة ، لذا نجد بعض مشاهير الاذاعيين يتدربون تدريبات مضنية لتطوير هذه الملكة والاحتفاظ بتلك القوة الهائلة •

أصحاب الصوت الراديوفونى لديهم الدرجة السليمة للاداء الصحيح ، ولديهم النغم اللازم لذلك البعد الانسانى الذى يسهل على المستمع تجسيد الصوت المسموع فى صورة وراء الميكروفون • يجب أن يكون الصوت الانسانى دالا على شخصية صاحبه لكن الكثيرين لا يمتلكون

ملكة هذا التعبير بالصوت عن الشخصية ، وهذا من سوء حظهم فى عصر الراديو !

صديقى المستمع !

لقد تعودنا كاذاعيين أن نسمع مرارا من المستمعين الذين يلتقون بنا للمرة الأولى ، مقولة اننا لا نشبه على الاطلاق الصورة التى رسموها لنا فى مخيلاتهم تبعا للانطباع الذى خلفته أصواتنا الاذاعية فى عقولهم المعجبة بأدائنا الاذاعى . لكن هذا يجب ألا يضايق الاذاعيين ، بل على العكس ، يجب أن يكونوا راضين لأن أداءهم الصوتى مكن المستمع من رسم صور لشخصياتهم . والأداء الصوتى قد يكون هبة لدى بعض الناس فلا يحتاجون الا الى القليل من التدريب .

لكن الأداء الصوتى السليم « يكتسب » فى معظم الحالات ، بعد تدريبات شاقة وانضباط شخصى كبير حتى تتم السيطرة على الصوت والجسد • وقد يكون من المفيد أن يرسم المتحدث أو المذيع هو الآخر صورة للمستمع الذى كثيرا ما يناديه « بصديقى المستمع » أثناء الاذاعة • وهذا يساعد المذيع على الأداء الصحيح بالنبرات الصوتية السليمة •

ولهذا يجب أن « يخلص » المذيع فى أدائه لثلاث جهات ، أولها : موضوعه ، وثانيها : مستمعه وثالثها : نفسه !

الواقع ان الاذاعى حينما يقدم حديثا اذاعيا فهو يتحدث الى جمهور لا يعرفه • انه جمهور افتراضى لا يراه ، ويجب عليه أن يعد نصه ليؤدى أمام الميكروفون لا ليقرأ • وكل منا مر فى سلسلة من المراحل التى نقلد فيها شخصا بالذات أو المخرج أو غيره قبل أن نعتمد على

أنفسنا وعلى تطوير أسلوبنا الخاص بنا فى الأداء الاذاعى •

ولا شك أننا كذلك مررنا ـ كاذاعيين ـ بمراحل الخوف الشديد من الميكروفون ، « تلك الآلة المرعبة الموضوعة داخل حجرة صغيرة مغلقة وخانقة التى هى الاستوديو » ، فتكون النتيجة أن يصبح الأداء عصبيا والأنفاس متقطعة ، والقراءة جامدة وغير طبعية ، وسرعان ما يمتلىء النص بعلامات للوقوف هنا أو الاسراع هناك أو تغيير نغمة الصوت فى هذا المقطع أو ذاك، وكذا وضع الخطوط تحت الكلمات « الهامة » وتعليمات بتغيير السرعة الى غير ذلك من الملاحظات المعروفة • ولكن المذيع سرعان ما يبدأ فى التخلص التدريجى من الاكثار من تلك الملاحظات الخاصة بأنواع الأداء •

حينذاك يكون المذيع قد مر فى السلسلة الأولى من مراحل التدريب الشاقة ، وها هو

عندما يعود بالذاكرة الى تلك المراحل الأولى من عمله ، يتسـاءل « كيف احتملنى المسـتمع وقتذاك ؟ » .

هنا يكون الايذان ببدء المراحل المعقدة من عمليـة التـدريب للتعـود على الأداء الاذاعى السليم . وهذه المراحل يتم فيها للشخص الشعور « بالراحة » أمام الميكروفون ، بل ويبـدأ فى الشعور ببعض الرضى عن آدائه . وفى هـذه المـرحلة أيضـا يبـدأ المذيع فى التعـود على الميكروفون ويزول الخوف منه تماما . وتتكون بينهما علاقة ودية حميمة ، حتى انه ينسى وجود الجمهور والميكروفون ! وكثير من المذيعين « يقف ويتجمد » فى تلك المـرحلة ، ولا يتعداها الى المرحلة التالية ، التى يتعين على المذيع أن يكون فيها أسلوبه الخاص فى الأداء وهى مرحلة مهمة لأن المذيع يضع المستمع فى اعتباره ويعرف أنه يعمل لخدمة المستمع خلال التفسير السليم للنص المقروء .

والاذاعى ، بعد ذلك ، يتعلم بالتجربة كيف « يلون » نصه لاثارة انتباه المستمع ولانجاز أقصى الوضوح عن طريق تثبيت النقاط التى يرغب فى ذكرها وذلك فى حدود الوقت المتاح له ٠

« انى لا أكره مضمون كلامه بقدر كرهى لطريقته فى الكلام »

(من رواية أنطونى وكليوباطرة ـ شكسبير)

« طريقته فى الكلام » قد يفسدها عيب فى الصوت ربما قلل من القدرة على ايصال ما يراد ايصاله الى المستمع ٠

ولكن ماذا يفعل ذوو العيوب فى الأصوات؟

لعلك تندهش اذا علمت ان اصلاح تلك العيوب الصوتية أو الكلامية أمر ممكن ٠

فالكلام فى النهـاية هـو مجمـوعة عادات في النطق ، وتعود على التعبير بطريقة معينة ، كأن يتكلم المرء بسرعة مثلا فبالامكان اعادة التعود على الكلام ببطء . كل العيوب من هذا القبيل يمكن اصلاحها اذا توفرت لدينا المعلومات اللازمة للقيام بهذا العمل .

كم من متحدث أو مذيع أو خطيب يشـعر بأن صوته « رديئا » ويود أن يصلح من هـذا الصوت ، وهو يحتاج الى من يعينه على تحقيق « هذه الأمنية » . انه غير راض عن « نوعية » صوته مما قد يلفت الانتبـاه الى طريقتـه في الـكلام وليس الى مضمون كلامه حتى اذا كان ذلك المضمون مهما وشائقا !

هذه عادة ما تكون من نـوع الأخطاء التى يمكن اصلاحها ، ولكن كيف ؟

لا يمكن املاء قواعد معينة على صاحب الصوت لكى يتبعها فيصـل الى النطق الصحيح

والكلام السليم • بل لابد من ترك الحرية لصاحب الصوت لكى يصل الى قرار بخصوص اختيار « صوته المفضل » • فأصواتنا أو « طريقتنا فى الكلام » هى قبل كل شىء تعبير عن شخصيتنا • الصوت يعبر عن شخصية صاحبه تعبيرا تاما • ولكن ما هو الصوت الانسانى بالضبط ؟

الصوت الانسانى أداة أو آلة مركبة ، يمكن مقارنة تركيبها ببعض وحدات آلة الأرغن الأنبوبية الهوائية •

ان انتاج الصوت متشابه فى الحالتين ، لكن الصوت الانسانى يتميز بأنه أدق من آلة الأرغن وأكثر مرونة !

والصوت الانسانى ، رغم انه قد لا تكون لديه نفس السلسلة الواسعة من ذبذبات الصوت التى لدى بعض الآلات التى صنعتها يد الانسان،

الا أنه قادر على انتاج نبرات تفوق فى جمالها بكثير ما تنتجه أى آلة مصنوعة ٠

لنعد الى المقارنة بين الصوتين ٠

كل صوت ينتج بواسطة ، مولد ومضخم ٠ وفى حالة الصوت الانسانى يكون المولد عبارة عن مجموعة من أغشية الرنين المعروفة باسم « الحبال الصوتية » ، وهذه الحبال تعمل بالاشتراك مع الأنبوب المضخم ، وهو معقد التركيب ، ويحتوى على ثلاثة تجاويف هوائية فى الحلق والرأس ووظيفتها «ضبط» الصوت٠ هذه الآلة تتحرك بكاملها بواسطة الحجرة الهوائية البشرية ٠٠ أى بالرئتين ٠

هذا الشرح يساعدنا على فهم ضرورة الاستخدام الجيد لأصواتنا، خاصة اذا اعتبرناها آلات هوائية ، علما بأن السيطرة العضلية المطلوبة لتغيير الضغط على الحبال الصوتية تتم فى الوقع بصورة غير ارادية ٠ لذا فكل

العضلات الموجودة داخل هـذه الآلة الصـوتية والمحيطة بها يجب أن تكون فى حالة اسـترخاء تام حتى يمكن للصـوت الانسـانى أن يعمل بطريقة طبيعية سواء أكنا نستخدمه فى الحديث أو فى الغناء • هذا الشرط هو من أهم شروط جودة الأداء الصـوتى •

ولهذا السبب كذلك ، يكثر ارتكاب الأخطاء الصـوتية ، مثـل أن تكـون النبرات الصـوتية « عديمة اللون » أو أنفية أو مختنقة أو حادة وجافة وذلك بسبب الضغط غير الطبيعى عـلى عضلات الحلق والفم والجزء الأعلى من الصـدر لأن التحكم العضلى غير مضبوط •

وكنـوع من التجـربة ، عليك أن تراقب أوجه من يتحدثون حـولك • وراقب بالذات عضلات الوجه والحلق •

لاحظ أن توتر تلك العضـلات يزداد لدى

كثيرين ممن يتحدثون أمام جمهور أو من يغنون بلا تدريبات صوتية ٠

هذا هو الصـوت الانسـانى ، وهذه هى تركيباته المعقدة ، وأول قواعد جودةالاستخدام هى :

ـ أن يكون الحلق مسترخيا ٠

ـ أن تكون عضلات الفك والفم مستريحة

ـ أن تدع تجـويفات التضخم حول وفوق الحبال الصوتية ، مفتوحة ومستريحة ٠

ـ الظروف الطبعية للكلام الطبعى تسمح للسان وسقف الحلق والشفتين والأسنان بالعمل بصورة حقيقية خالية من التوتر ٠

من هذا نرى كذلك أن دراسـة الصـوت والكلام هى دراسة معقدة بطبيعة الحال ٠ فهو موضوع تتحكم فيه جملة عنـاصر تتراوح بين الخـوف والعادات ونمط التعليم وغير ذلك ٠

وبامكان المرء الراغب في التصدى للعمل الاذاعى واستغلال قدراته الصوتية الى آخرها مهما كانت متواضعة آن يتعلم كيف يتخلص من بعض المخاوف التى تؤثر تأثيرا سلبيا على الصوت • ويتم ذلك بفضل ما لدينا من معلومات حول طبيعة الصوت واخراج الكلام • وستجد آنه بالامكان تصحيح الكثير من أخطاء الصوت وأخطاء النطق •

معظم عيوب الصوت نابعة كما ذكرنا آنفا عن عادات سيئة فى الأصل ، لذا فانه بالامكان تغيير هذه العادات ، عن طريق تدريبات صوتية عملية • ولكن تلك العادات السيئة تكونت لدى الانسان على مر سنوات طويلة ، هى عمر الانسان منذ الصغر بعد جملة من التقليدات يتوصل الانسان الى تكوين عادات فى النطق والكلام لايصال المعانى التى يريد التعبير عنها حتى يتوصل تدريجيا الى السيطرة على صوته بما فى ذلك التنفس آيضا ، وهو آمر هام جدا •

التنفس الصحيح .. لماذا ؟

التنفس الصحيح ، أمر لابد منه لكافة أنواع الأداء الصوتي . فالمعروف أن نسبة كبيرة من الصعوبات الصوتية تعزى الى التنفس الخاطيء » .

والسؤال الآن هو : ما هو التنفس الصحيح ما هو التنفس الخاطيء ؟

لتنفس الصحيح :

ويتم بواسطة دفع الضلوع السفلى الى الخارج والى أعلى مما يزيد حجم التجويف لصدرى جانبيا . وهكذا يدخل الهواء الى لرئتين . وحينما يهبط الحجاب الحاجز تزداد

سعة التجويف الصدرى عموديا مما يسمح بمرور المزيد من التنفس الى الرئتين • ويمكن أن يظل الحجاب الحاجز مرتفعا اذا كانت الضلوع فى وضع الارتفاع كذلك مما يسمح للهواء بالخروج •

من المهم جدا التنفس بهذه الطريقة • فالتنفس الصحيح يزود الصوت بقوة ، ويطيل « سعة التنفس » مع ازدياد القدرة على التحكم فى العضلات وهو أمر يمكن القارىء من توسيع مدى الجمل المقروء فى نفس واحد •

التنفس الخاطىء :

ويكون عادة سطحيا بالجزء الأعلى من الصدر مما يقيد من سعة النفس ويحد من امكانية السيطرة عليه • وعادة ما يصحب التنفس بهذه الطريقة ارتفاع الكتفين واندفاع

الجزء الأعلى من الصدر الى الامام • وتنعكس عيوب هذه الطريقة « طريقة تنفس الترقوة » ، على نبرات الكلام حيث يظهر فيها صوت التنفس مع قلة « اتساع » الفقرات والجمل عند القراءة •

ومن أنواع التنفس الخاطيء ما يعرف كذلك بالتنفس عن طريق المعدة ، وهو نوع منتشر عند الكثيرين ، ويظهر الأثر السيء لهذه الطريقة فى نبرات الكلام مع قلة التحكم فى الصوت عموما • وكذلك من الأنواع الأخرى للتنفس الخاطيء ، التنفس الذى يحدث صوتا لدى استنشاق الهواء من بين أسنان مغلقة مما يولد ضيقا فى الحلق فيسمع صوت « احتكاك » لدى دخول الهواء الى الجسم • فأى تنفس صحى يجب أن يتم دون احداث أى صوت لدى استنشاق الهواء •

والتنفس بهذه الطريقة الخاطئة ينعكس على أداء المذيع اذ يعجز عن قراءة جمل طويلة

بل ويلهث ويتراجع الصوت ويتوانى عن اسعاف صاحبه فى الأداء الصحيح • ويرجع ذلك الى عدم القدرة على التحكم فى عضلات التنفس لعدم استخدام الضلوع ، والحجاب الحاجز استخداما ناجحا كما شرحنا سابقا •

واذا فشل المذيع فى السيطرة على تنفسه وتنظيمه ، تكون النتيجة آن ينعدم التوازن فى كلمات الجمل فتصطدم بداياتها بضغوط كبيرة على آوائل الكلمات بينما تتهافت بقايا الجمل وتتهاوى نهايتها •

الملل •• كيف يحدث ، وكيف نتجنبه ؟

يحدث الملل حينما لا يستخدم المتحدث أو المذيع المدى المتاح له من صوته لأنه يميل الى الاكتفاء باستخدام نغمات قليلة من النغمات

العديدة التى يتميز بها الصوت الانسانى ، وبالتالى يكون الأداء مملا ورتيبا •

الذى يحدث ، أن كثيرا من المتحدثين أو الاذاعيين يكتفون باستخدام النغمات العالية للصوت دون تغيير يرتبط عادة بالتوتر • كما أن ترديد نفس النغمة الواحدة فى الصوت دون تغيير مع الميل الى الهبوط فى آخر الجملة ، يخلف انطباعا بأن الكلام انتهى ، كما يسبب الرتابة •

واذا استمر الصوت فى التذبذب بين الحدين الأقصى والأدنى دون أى ارتباط فى الأفكار التى يراد التعبير عنها ، ستكون النتيجة ، المزيد من الرتابة والمزيد من الملل •

لذا ، من المهم جدا عدم اجهاد الصوت من أجل الوصول الى نغمات الحدين الأقصى والأدنى ، كما انه من المهم الاحتفاظ بنفس « كامل » دائما وكاف لتقوية وتدعيم الصوت •

رغم أن الملل هو العدو الأول للمذيع الا أننا لا نستطيع القضاء عليه بمجرد تغيير نوعية الصوت الذى يستخدمه المذيع ، لأن الصوت كما قلنا سابقا ، هو تعبير عن شخصية صاحبه • ولكن بامكاننا تحديد بعض الصفات التى تضر بالصوت أو تعتبر غير مستحبة حسب اجماع الناس •

- لابد للمذيع أن ينظم تنفسه ويتجنب التوتر •

- يجب مراعاة أوضاع الرأس فمكانها فوق الكتفين لا أمامهما !

- يجب المداومة على التدريب على مرونة اللسان واسترخائه وخاصة المؤخرة •

- اذا أصيب الصوت بالبحة ، فيجب اراحته بضعة أيام • وتكون الراحة بالصمت طبعا ، مع عدم استخدام الصوت

اطلاقا • واذا استمرت البحة الصوتية، يجب استشارة الطبيب •

تكون البحة عادة انذارا بفقدان الصوت ، والعلاج المجدى هو الراحة •

ما وراء الصندوق السحرى :

فى الصفحات السابقة حاولت اطلاع القارىء ، المهتم والعادى على بعض ما وراء هذا الصندوق السحرى من عالم كبير هو عالم الاذاعة بما يحتشد فيه من اذاعيين وفنيين وفنانين ومهندسين وكتاب ، ورجال الصناعة والطلبة الذين يستعدون لخوض غمار الاذاعة • وهو أيضا عالم المستمع لأنه « الزبون » الذى يعمل الكل من أجله •

جميع هؤلاء وغيرهم لهم آدوارهم فى بناء

ذلك العالم الغريب الذى تتزاوج فيــه العلوم والفنون بشكل فريد لتعرض فى النهاية عــلى الجمهور الذى يستمتع بكل ما تقدم الاذاعات من اعلام وترفيه • وبســبب طبيعتها المركبــة تضم الاذاعة وظائف عديدة ومتنوعة • ومهما كانت وظيفتك أو عملك بالاذاعة ومهمــا كان تخصصك ، فلابد لك من الالمام بقدر الامكان بكل هذه التخصصات التى يتعاون فيها الجميع لانتاج البرامج فى عالم الاذاعة ، هــذا العالم الذى يشهد تدفقا مستمرا من النقــاد والأدباء والموســيقيين والممثلين والصحفيين والكتــاب وغيرهم وغــيرهم ، وذلك فى تتــابع البرامــج اليومية على مدى الأعوام •

. الشخصيات من كل عمل ومهنة والأشخاص من كافة مواكب الحياة تقف أمام الميــكروفون للتحدث الى العالم واعلام سكانه • وهنا فى عالم الاذاعة الفريد هذا ، كل المنظمات ممثلة

والجمهور نفسه أصبح يدعى كثيرا الى الاشتراك في البرامج الاذاعية •

الكل يهفو الى التعبير عن ذاته من داخل « ذلك الصندوق السحرى » الذى أرجو أن أكون قد وفقت قليلا في فك بعض طلاسمه •

عبد الرحيم الرفاعى من مواليد القاهرة فى شهر يونيو عام ١٩٢٦ •

تخرج فى كلية الآداب ـ قسم الفلسفة بجامعة القاهرة عام ١٩٥٠ •

عمل اثر التخرج فى تدريس الفلسفة وعلم النفس بالمدارس الثانوية فى مصر والسودان • وفى عام ١٩٥٣ قرر مواصلة الدراسات العليا للحصول على الدكتوراة من كلية بيربيك فى بريطانيا ، لكن الاذاعة سرعان ما استولت عليه كلية فترك دراسة الفلسفة الى دراسة الفن الاذاعى مع العمل فى الاذاعة البريطانية ، ومنذ ذلك الوقت لم يتخل عن الاذاعة ولم تتخل عنه •

وفى عام ١٩٥٦ ترك الاذاعة البريطانية ـ وقت العدوان الثلاثى على مصر ـ وعمل رئيسا لقسم الدراما فى الاذاعة التونسية حتى عام ١٩٦٠ • وحينما عاد هذه المرة الى الاذاعة البريطانية عمل رئيسا لقسم المنوعات العربية حتى عام ١٩٦٧ حينما استدعته الاذاعة السويسرية للمشاركة فى تدعيم قسمها العربى الذى يديره حاليا •

خلال هذه السنوات الطويلة من العمل الاعلامى سافر عبد الرحيم الرفاعى فى معظم البلدان العربية وكثير من البلدان الاوربية كما التحق بمكتب الاذاعة البريطانية السابق فى بيروت فترة من الزمن واتصل بكثير من الاذاعات والاذاعيين ، واشترك فى كتابة واعداد عشرات المسرحيات الاذاعية والبرامج العربية سواء فى اذاعات بريطانيا أو تونس أو سويسرا •

الكتاب الحالى حصيلة خبرته الاذاعية التى امتدت لحوالى ٣٥ عاما · وكل ما يصبو اليه أن تكون فى الكتاب بعض الفائدة لهواة هـذا الفن الاذاعى من شبابنا العربى ·

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٥٤٣٧/١٩٨٧

ISBN – ٩٧٧ – ٠١ – ١٤٩٠ – ١

الاستاذ عبد الرحيم الرفاعى مؤلف هذا الكتاب عاش فى بريطانيا وفى سويسرا عاملاً فى إذاعة ال بى بى سى وإذاعة برن العربية فى سويسرا .

وهذا الكتاب عبارة عن تجربة المؤلف مع الراديو خلال السنوات التى عمل فيها بالإذاعتين ، وبدون شك فإن هذا الكتاب يعتبر بالإضافة إلى أنه تجربة شخصية وهى تجربة عامة تصلح لكل مذيع ولكل مشتغل بالراديو .

الكتاب القادم

المسرح المصرى فى

مصطفى عبد الغنى

مطابع الهيئة

٤٥ قرشــا